جمعية الطيران العراقية التي تأسست في بداية الثلاثينيات اتخذت من احدى المقاهي في بغداد مقرا لها

حسو إخوان .. وأوروزدي باك علامات بغدادية لا تنسى !

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2580) السنة العاشرة
الاثنين (3) ايلول 2012

WWW. almadasupplements.com

8

الحوار الاخير لنوري السعيد

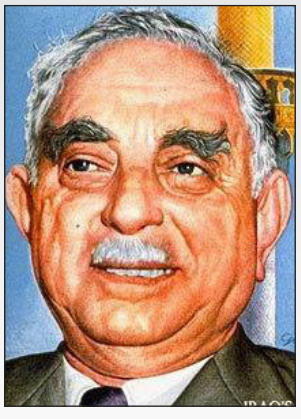

مدرسة الحقوق وكليتها

د. سيار الجميل
باحث اكاديمي

اساتذة كلية القانون عند تأسيسها

أولا : الاهمية .. التأسيس

على العراقيين ان يقفوا جميعا لازجاء تحية كريمة لاعرق مؤسسة تعليمية حديثة في تاريخهم المعاصر .. تلكم هي كلية الحقوق ببغداد التي اسسها العثمانيون في السنة الاخيرة من حكم السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ – ١٩٠٩ الذي شهد عهده نهضة تعليمية واسعة .. ولمناسبة ذكرى مرور مائة سنة على تأسيسها عام ١٩٠٨ ومضيها مع حياة العراق حتى اليوم ، اذ درس بين جدرانها الالاف من الطلبة والطالبات ، وتخرج في اروقتها اهم رجالات الحياة المدنية في العراق ، ومنهم قادة ورؤساء حكومات ووزراء وقضاة .. مع ابرز النخب من المثقفين والساسة والاداريين ورجال القانون من القضاة والمدعين العامين والمحامين العراقيين الذين كان لهم ادوارهم المختلفة في حياة العراق السياسية والاجتماعية والادارية والقضائية .. لقد كانت هذه " المؤسسة " الرائعة واحدة من ابرز مؤسسات العراق ، وشهدت على امتداد حياتها عدة تقلبات واحداث وشخصيات .. كما وعرفت اقوى الاساتذة العراقيين والعرب والاجانب .. واذا كانت كلية الحقوق قد مرّت بها اجيال من الدارسين ، فان ارشيفها وتاريخها يقف عاليا مطلا برأسه وهو يوازي تاريخ العراق المعاصر كله . ولما كان ابي . رحمه الله . أحد الذين تخرجوا فيها منذ الاربعينيات من القرن العشرين ، فلقد احتفظت بذاكرة قوية عنها ، وعن اخبارها ، في ايام ازدهارها ابان العهد الملكي في العراق عندما كانت تستقطب كل ابناء النخبة العراقية في ارجائها .. وكنت واحدا من الذين احببت ان اقرأ القانون فيها عام ١٩٧٠ ، ولكن ظروفي حالت دون ذلك ..

وعندما بدأت اكتب كتابي عن " انتلجينسيا العراق ونخب المثقفين في القرن العشرين " ، لفتت انتباهي المكانة التاريخية التي حظيت بها عراقة هذه الكلية التي عدّت واحدة من اهم كليات الشرق الاوسط قاطبة . اليوم ، نقف جميعا لنحيي هذا الصرح الوطني العراقي الذي ولد قبل ان يولد الكيان العراقي ، وكان فاتحة تاريخية مباركة لنشأة العراق المعاصر . اننا اذ نحتفي بهذه المناسبة التاريخية لتأسيس صرح علمي خدم العراق منذ مائة سنة ، لا يسعني الا ان ابارك كل العراق من خلال ابرز مؤسسة رفدته بالالاف المؤلفة من الكوادر القضائية والادارية والسياسية .. ، وانها مناسبة لابد ان تشعرنا بدافعين اساسيين نحن العراقيين ، اولاهما الاعتزاز بالمؤسسات العراقية التعليمية التي وقف عليها وطورها العديد من الذوات ، اذ نحن بأمس الحاجة الى المؤسسات واحترامها ، وان نعتّز بكل من خدمها وعمل فيها على امتداد قرن كامل . وثانيهما كم هي الضرورة التاريخية اليوم للقانون وسلطته واستعادة استقلاليته ومكانته المهمة في العراق .. والعمل من اجل ان تكون هناك دولة القانون ومجتمع يضبطه القانون . وبهذه المناسبة ينبغي عليّ ان اشيد بمقال الصديق القديم الدكتور ابراهيم خليل احمد الذي سبقني بنشره احتفاء بكلية الحقوق والمنشور يوم ٢٨ /١/ ٢٠٠٨ .

الاعلام الكبار

كانت مدرسة (= كلية) الحقوق أول مدرسة عليا للدراسات القانونية في العراق، قد تأسست عام ١٩٠٨م ابان عهد ووكيل الوالي العثماني ناظم باشا، وهو المفتش العام للخطة العراقية عصر ذاك، ودامت أعمالها حتى الاحتلال البريطاني للعراق في ١١ آذار / مارس ١٩١٧م، ثم أعيد فتحها عام ١٩١٩م بدروس محددة ثم اكتملت فيها الدروس الحقوقية والاجتماعية العليا، واعتمدت منذ إعادة نشأتها على كفاءات عراقية خالصة في التدريس ثم استقدمت فيما بعد العديد من الأساتذة المصريين، وكان من أبرز الأساتذة العراقيين : توفيق السويدي (للإدارة) وعارف السويدي وأمجد الزهاوي ونشأت السنوي وسليمان فيضي الموصلي وحكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني وداود السمرة ، ورؤوف الجادرجي ، وعبد القادر السنوي ، وناجي السويدي ، وناجي الاصيل ، وخالد الشابندر ، وانطوان شماس ، وعبد الله ثنيان ، وحسين أفنان ، ويوسف العطا ، وكمال السنوي وغيرهم من بعدهم ، امثال : منير القاضي ، وناجي القشطيني ، وعبد الرحمن البزاز وغيرهم .

لقد اعتمدت الدولة على رجالات القانون اعتماداً كبيراً، كما وتخرج في أروقة هذه الكلية العشرات من المثقفين والساسة الليبراليين والمناضلين اللامعين الذين أثروا تأثيراً بالغاً في حياة العراق الوطنية والنيابية/ السياسية وعلى الأخص في عقدي الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، وكما وصفها والدي القاضي كوكب علي الجميل . توفي ١٩٦٨ رحمه الله . في مذكراته : بأن كلية الحقوق ببغداد كانت مدرسة علمية حقيقية تطورت على ايدي كبار رجال القانون وفي مقدمتهم استاذنا الشهير عبد الرزاق السنهوري ، كما كانت مهدا قويا لنمو التيارات السياسية الحرة والليبرالية في العراق .. ويكفي اننا الشباب كنا ندرس في العراق ولأول مرة الى جانب المرأة العراقية ممثلة بأول خريجة حقوقية عراقية زميلتنا صبيحة الشيخ داوود " . وعند الخمسينيات ، خفت لمعان الحقوق العراقية لصالح توّهج دار المعلمين العالي الذي كان قد تأسس منذ عام ١٩٢٤م على نحو بسيط ، ولكنه صرح تكامل مع العام ١٩٣٩م لكي تغدو أبرز مؤسسة عراقية رصينة، رفدت الحياة العراقية بالاتجاهات القومية والاشتراكية الحديثة خلال عقدي الخمسينات والستينيات ، وكما وصفها أحد خريجيها بأنها " الدار ينبوعاً متدفقاً سقى كل غرسة رفضت ذلك الواقع وبشرت بالانقلاب.. " .

العهد العثماني

تبلورت فكرة تأسيس مدرسة (او : كلية الحقوق) ببغداد في نهاية العام ٢٠٠٧ ، اثر اقتراح طرحته اللجنة الاصلاحية التي قدمت بغداد ، وكانت برئاسة ناظم باشا والي قسطمونو ، وبتكليف من السلطان عبد الحميد الثاني من اجل دراسة ما تحتاجه ولايات العراق . وعليه ، فقد تمّ تشكيل هيئة استشارية جمعت كبار موظفي ولاية بغداد واعيانها لتقديم اقتراحاتهم بصدد ما يحتاجه العراق من اصلاحات . ولقد تجوّلت الهيئة في عموم مناطق العراق المختلفة ، وقدمت تقريرا الى الحكومة تضمن اصلاحات للتعليم وتأسيس مدارس ومعاهد .. وكان مطلب تأسيس كلية او مدرسة للحقوق من اهم المطالب بسبب حاجة العراق الاساسية للموظفين والعدليين والاداريين المؤهلين اكاديميا .

لقي المقترح قبولا في الباب العالي وصدرت الارادة السلطانية بتاسيس مدرسة الحقوق في ١٤ تموز ١٩٠٨ ، وقد طالب العراقيون بتنفيذها حالا وبعريضة وقعها كل من : محمود صبحي الدفتري ، وعبد الله ثنيان ، وثابت يوسف السويدي .. وبعد اسابيع نُصب ناظم باشا واليا على بغداد وكالة .. ولما كان الانقلاب العثماني بقيادة الاتحاد والترقي قد نجح في ٢٣ تموز / يوليو ١٩٠٨ ، فلقد بدا امر التأسيس تحصيل حاصل .. تلكم هي " كلية الحقوق " ببغداد التي تأسست عام ١٩٠٨ تحت اسم " مدرسة الحقوق " التي تقرر افتتاحها في ١ ايلول / سبتمبر ١٩٠٨، وكان انبثاقها في نهايات العهد العثماني يمّثل استجابة حقيقية لحاجة العراق بولاياته الثلاث انذاك الى كوادر حقوقية متعلمة وقد تقّرر ان تكون مدة الدراسة اربع سنوات ، وانخرط فيها نخبة من الطلبة الذين بلغ عددهم ١١٨ في العام ١٩١٠ وكانوا موزعين على صفّين اثنين اول وثان . ولما كانت المناهج بالتركية فلقد اعتمدت لغة للدراسة حتى العام ١٩١٣ عندما وافق والي بغداد على التدريس باللغة العربية ، ولكن اغلقت المدرسة عام ١٩١٤ ، علما بأن اول دفعة قد تخرجت فيها عام ١٩١١ ، وبلغ عدد اول دفعة من الخريجين عشرة طلاب .

2/ العهد البريطاني

استطيع القول بأن كلية الحقوق انطلقت من سنواتها الاولى وسنوات غيابها بروح جديدة عام ١٩١٩ ، اذ اعيد فتح ابوابها ، فدخلت في تاريخها مرحلة تاريخية جديدة ، وكانت مدة الدراسة في المدرسة عند افتتاحها أربع سنوات، وكانت تجري الدراسة باللغة التركية على وفق مؤلفات لمفردات منهج الدراسة الموضوع بتلك اللغة ، وقد وافق والي بغداد أواخر عام ١٩١٣ على أن تكون الدراسة في المدرسة باللغة العربية ، ولكن يبدو أن المدرسة قد استمرت بالتدريس باللغة التركية حتى إغلاقها عند قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ، وقد كانت الامتحانات تجري بصورة شفوية لمعظم مواد الدارسة ، وقد تخرجت أول دفعة من المدرسة عام ١٩١١ ، وبلغ عدد طلابها المتخرجين عشرة . لقد اعيد افتتاح مدرسة الحقوق عام ١٩١٩ ، نشر الميجر همفري بومان ، Humphrey E.Bowman ((ناظر (مدير) المعارف العمومية)) اعلانا في ٢٣ يوليو / تموز ١٩١٩ .

وفي ٧ تشرين الثاني /نوفمبر ١٩١٩ اعيد افتتاح الكلية رسميا ، وعين الكولونيل بل رئيس محكمة الاستئناف مديرا فخريا لها .وقد علقت المس غيروترود لوثيان بل سكرتيرة الحاكم المدني البريطاني العام للعراق على اعادة فتح كلية الحقوق بقولها : ((ان فتحها جاء في محله ، لان الادارة البريطانية كانت ستصبح عرضة للنقد المحق لو لم تبذل جهدها في ان تهيء ، على الاقل ، ما كان موجودا في معاهد التعليم العالي ايام العثمانيين)) .

العمداء الاوائل :

أما عن العمداء الذين تولوا مسؤولية عمادتها ، فهم كل من: السيد موسى كاظم الباجة جي، وتولى العمادة عام ١٩٠٨، وكان قد تخرج في مدرسة الحقوق العثمانية في اسطنبول سنة ١٨٨٨، وحكمت بك سليمان وتولى العمادة عام ١٩١٤ حتى انغلاقها ، وكان شخصية مثقفة نصّب وزيرا ثم غدا بمنصب رئيس وزراء في العهد الملكي في حكومة الانقلاب العسكري الذي قاده الفريق بكر صدقي عام ١٩٣٦ .. وتولى العمادة بعد اعادة فتح الكلية عام ١٩٢٠... وكان توفيق السويدي قد تولى العمادة عام ١٩٢١ وكذلك من عام ١٩٢٤– ١٩٣١ ، وأتم دراسته في اسطنبول عام ١٩١٢، والتحق بجامعة السوربون في باريس، وكان قد اشغل منصب رئيس وزارة في العهد الملكي لعدة مرات... ورؤوف رفعت الجادلاجي الذي تولى العمادة عام ١٩٢٢– ١٩٢٣، وهو خريج مدرسة الحقوق في اسطنبول في عام ١٩١٢، وقد اشغل منصب وزير عدة مرات في العهد الملكي...

ان كلية الحقوق العراقية صاحبة نشأة تأسيسية قوية على ايدي اساتذة عراقيين ، كان اغلبهم قد درس في جامعات خارج العراق .. وبالرغم من انقطاع الكلية ابان سنوات الحرب العالمية الاولى ، الا انها قد اعيد تأسيسها ، وبطريقة قوية ، وعلى ايدي اساتذة جدد ، لتنتهي هذه المرحلة ، وتبدأ مرحلة جديدة في تاريخها الوطني .

العهد الملكي

كانت مدرسة الحقوق العراقية قد حظيت باهتمام المغفور له الملك فيصل الاول اثر تأسيس الدولة العراقية .. وعند تأسيس جامعة آل البيت على عهده ببغداد في ١٥ آذار / مارس ١٩٢٤ ، انضمت كلية الحقوق ، لتكون واحدة من كلياتها المتعددة ، ولكن عادت وانفصلت بعد فشل مشروع الجامعة . وكانت الجامعة تضم فضلا عن كلية الحقوق ، كليات : الهندسة ، الطب ، الكلية الدينية ، كلية التربية ، الفنون . وفي نيسان ١٩٢٤ عين الاستاذ فهمي المدرس .رحمه الله . امينا عاما للجامعة ، وهو من ابرز شخصيات العراق الثقافية والعلمية واحد الذين درسوا في

الاستانة وفرنسا (انظر وراجع التفاصيل في بحث منشور لي عن جامعة آل البيت العراقية : تأسيسها واسباب الفشل ، نشر ضمن اعمال كتاب صدر عن جامعة آل البيت الاردنية ١٩٩٩ ، وقد اضفت الى البحث معلومات واسعة لينشر في كتاب لاحقا) .

لقد جرت عملية لتطوير كلية الحقوق واصلاح اوضاعها العلمية والتدريسية ، فتألفت لجنة علمية من ابرز الاساتذة ، وذلك في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢١ برئاسة المستر بل رئيس محكمة الاستئناف ، وتوفيق السويدي الذي عين مديرا (عميدا) للكلية فضلا عن وظيفته كمعاون لمشاور العدلية ادوين دراور ، وداؤد السمرة ، ونشأت السنوي ، وانطوان شماس . وقد بذل عميدها توفيق السويدي، جهودا كبيرة لتنظيم الكلية وتهيئة الاساتذة ، الا ان قلة المتخرجين من المدارس الثانوية كانت صعوبة بارزة واجهتها المدرسة (= الكلية) ، وهذا ما ادى الى اعداد اناس تكون مؤهلاتهم بدرجة تمكنهم من متابعة الدروس وفهمها بسهولة من دون ان تكون لديهم شهادات ثانوية ، ويتم ذلك باتباع مبدأ امتحان القبول ، اذ كان يطلب من المتقدم أداء امتحان في المواد التي تعادل درجتها المواد التي تدرس عادة في الصفوف الثانوية .

ولم تعد الدراسة مجانية كما كانت ، بل صارت مقابل اجور سنوية مقدارها ١٥٠ روبية تدفع باقساط ثلاثة ، وغدت الدراسة بالعربية ، وبلغ عدد طلبتها بعد استعادة فتحها ٤٥ طالبا ، وقد اصر على ان تكون شهادة الثانوية من لوازم القبول فيها . وفي سنة ١٩٢٢ صدر (النظام الاساسي لمدرسة الحقوق العراقية) الذي جعل مدة الدراسة اربع سنوات.

صدر نص النظام رقم ١٠ لسنة ١٩٢٨ ، وهو ينص في مادته ١٤ على كون الدراسة من ٣ صفوف . اما نظام كلية الحقوق المرقم ٨ لسنة ١٩٣٦ ، فقد نصت مادته ٢ ان تكون مدة الدراسة ٤ سنوات ، ويمنح الخريج فيها شهادة الليسانس ، ونصت المادة ٦ منه على ان العربية هي لغة الدراسة . اما المادة ٨ فقد قسّم الدراسة الى فصلين دراسيين اثنين ، يتلقى الطالب محاضرات في المواد الدراسية التالية ، هي : الحقوق المدنية ، وقانون المرافعات ، وقانون العقوبات ، والطب القانوني ، والصكوك ، والحقوق الدستورية ، والعلوم الاقتصادية ، واحكام الاراضي والاوقاف وغير ذلك من المواضيع القانونية والادارية . ولم تزل الدراسة سارية المفعول على نفس النهج الذي رسمه الاوائل ، ولكن مع ضعف عام في التأهيل ، اذ كان من الضروري ان تتطور هذه " الكلية " العريقة لتصبح في عداد اهم كليات القانون في العالم ، ولكن انهيارا واسعا اصابها في العقود الاخيرة حولها الى مدرسة تقليدية شرقية عادية ، ويا للاسف الشديد ، بالرغم من كونها تعد من اعرق كليات الشرق الاوسط قاطبة .

الاساتذة الاوائل

بلغ عدد الاساتذة الاوائل في العام ١٩١٣ وممن عرفوا بسعة الاطلاع والسمعة العلمية والاصالة في التدريس والشهرة في العراق احد عشر استاذا ، منهم : الشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي الذي كلّف بتدريس مادة " المجلة " القانونية العثمانية . وايضا يوسف العطا مفتي بغداد المعروف ، وعارف السويدي ، وحمدي الباجه جي ، وحسن الباجه جي ، ومحمد جودت ، وابراهيم شوقي ورشيد عالي الكيلاني ، وحكمت سليمان ، والشيخ نور الدين الشيرواني .. وكان ان ترأس بعضهم رئاسة الحكومة العراقية في فترات لاحقة .

وبعد أعادة افتتاح المدرسة في العام ١٩١٩ عين لها كل من الأساتذة : (نشأت السنوي معاون المدير ، وعبد الوهاب النائب ، وامجد الزهاوي ، وداود السمرة ، وسليمان فيضي ، وأنطوان شماس ، وعارف السويدي ، وخالد الشابندر). وكان كاتب المدرسة محمد علي محمود الذي خلفه إبراهيم الواعظ بعد تخرجه في السنة الثانية . ثم عّين توفيق السويدي استاذا في الحقوق ليغدو فيما بعد عميدا لها .

وكان أول ناظر (= مدير) للمدرسة أصالة عند تأسيسها هو الاستاذ (موسى كاظم الباجة جي) بعد أن كانت تدار بالوكالة من قبل ناظر (=مدير) المعارف (خليل بك) . وفي أواخر عام ١٩١٤ وقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبح السيد حكمت سليمان مديرا للمدرسة... وكان من أوائل الطلاب المسجلين في المدرسة (محمود صبحي الدفتري) الذي برز اسمه في العهد الملكي امنيا ووزيرا للعدلية وعضوا في مجلس الأعيان . وكان من بين خريجي دورة العام (١٩٢٣/١٩٢٤) كل من الذوات : عبد الله الشواف ، وعطا أمين ، واحمد القشطيني ، ومحمد رؤوف البحراني ، وعبد العزيز السنوي ، وطالب مشتاق ، ونجيب الراوي ، وشفيق نوري السعيدي . وكان من خريجي دورة العام ١٩٢٤/١٩٢٥ كل من الذوات : منير القاضي ، وطه الراوي ، وصالح جبر ، وموفق الالوسي ، واحمد زكي خياط حميدي ، وهايك سيروب ، وعبد الجليل برتو .. اما من خريجي دورة العام (١٩٢٥/١٩٢٦) ، فكان كل من الذوات : عبد القادر الكيلاني ، وكامل الجادرجي ، وذبيان الغبان ، ونوري العمري ، وموسى شاكر ، ونظيف الشاوي وعبد العزيز الباجة جي ، وصادق البصام ، وشاكر الموصلي.

وكان من بين من تولوا رئاسة الوزارات العراقية من خريجي هذه الكلية : صالح جبر، وهو خريج الكلية للدورة ١٩٢٤-١٩٢٥، وقد اشغل منصب رئيس الوزراء في العهد الملكي للمدة من ٢٩/آذار/١٩٤٧ إلى ٢٧/ كانون الثاني ١٩٤٨، وعبد الوهاب مرجان، وهو خريج الكلية للدورة ١٩٣٢-١٩٣٣، وقد اشغل منصب رئيس الوزراء في العهد الملكي للمدة من ١٥/كانون الأول / ١٩٥٧ إلى ٢/ آذار / ١٩٥٨... وكذلك الدكتور عبد الرحمن البزاز، وهو خريج الكلية للدورة ١٩٣٣-١٩٣٤، واشغل منصب رئيس الوزراء في العهد الجمهوري للعام ١٩٦٥-١٩٦٦. وقد تخرج في الكلية ايضا الاستاذ جلال الطالباني رئيس جمهورية العراق اليوم ، وكان ذلك في العام ١٩٥٨ – ١٩٥٩ .. ومن الجدير بالذكر ، ان الرئيس العراقي السابق صدام حسين قد منح شهادة الباكالوريوس في الحقوق عندما كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة ، وكان يأتي لحضور الامتحان مع العشرات من افراد الحماية ويتراكض الاساتذة من ورائه كما حدّثني الزميل الدكتور سعدون القشطيني ، ويمنح اعلى الدرجات من قبل (استاذه) منذر الشاوي !!

دور الاساتذة الكبار في عهد الازدهار

١/ عبد الرزاق السنهوري

تولى عمادة الحقوق ساطع الحصري للفترة ١٩٣١-١٩٣٤، وكان أستاذا بدار المعلمين وله دور كبير في السياسة التعليمية في العراق. كما نعلم.. ولكن كانت هذه المؤسسة بحاجة الى نهضة تجديدية وعلمية ، فكان ان استقطب لعمادتها احد ابرز رجال القانون العرب . قدم الدكتور عبد الرزاق السنهوري، استاذ القانون المدني المشهور ،مصري الجنسية ، وكان يعدّ منذ ذلك الوقت علما من اعلام القانون في الشرق ، وتولى العمادة للفترة ١٩٣٥-١٩٣٦، واستاذ مادة القانون المدني، وكان السنهوري قد حصل على درجة الليسانس في الحقوق سنة ١٩١٧من مدرسة الحقوق الخديوية (باللغة الانكليزية) وجاء ترتيبه الأول على جميع الطلاب، وسافر إلى فرنسا عام ١٩٢١ لدراسة القانون بجامعة ليون وأنجز خلال وجودة فيها رسالته للدكتوراه، وحضر إلى العراق سنة ١٩٣٥ بدعوة من الحكومة العراقية وساهم في وضع مشروع القانون المدني العراقي، وبعد عودته لمصر عين عميدا لكلية الحقوق المصرية، وتولى وزارة المعارف المصرية من ١٩٤٥-١٩٤٩ . وفي سنة ١٩٤٩ عين رئيسا لمجلس الدولة المصري، وقد ساهم في وضع القانون المدني السوري وكذلك وضع دستور الكويت والعديد من قوانينها كما شارك في وضع الدستور المصري. وكان قد وقف ضد الانقلاب العسكري المصري الذي قاده الضباط الاحرار في مصر عام ١٩٥٢ ، فاضطهد جراء موقفه ذاك على عهد الرئيس جمال عبد الناصر اضطهادا يعرفه كل من عرف السنهوري وقرأ سيرته المفعمة بالالم . المهم ، ان للرجل افضال كبيرة على كلية الحقوق العراقية وعلى التشريعات المدنية العراقية قاطبة .

2/ أساتذة آخرون

وقدم ايضا الدكتور محمود عزمي (مصري)، وتولى العمادة عام ١٩٣٦-١٩٣٧، والأستاذ منير القاضي، وتولى العمادة لفترتين اثنتين اولاهما بين عامي١٩٣٧-١٩٤٠ وثانيهما بين عامي ١٩٤٣-١٩٤٥، وهو خريج كلية الحقوق عام ١٩٢٥، وكان قد شغل منصب وزير المعارف ورئيس مجلس الوزراء في العهد الملكي ، وكذلك عين رئيسا للمجمع العلمي العراقي من عام ١٩٤٩-١٩٦٣، وله مؤلفات علمية عديدة في القانون المدني والمرافعات المدنية وفي الأدب العربي والشريعة الإسلامية، ويعدّ منير القاضي واحدا من امهر المثقفين العراقيين ابان العهد الملكي في العراق . وقدم الأستاذ عبد الحميد الوشاحي (قاضي مصري)، وتولى العمادة بين ١٩٤٠-١٩٤١، وايضا كل من الدكتور حامد زكي (مصري)، وتولى العمادة بين عامي ١٩٤٢-١٩٤٣، والدكتور عبد الحكيم الرفاعي (مصري)، وتولى العمادة بين عامي ١٩٤٥-١٩٤٧، وكان استاذا لمادة المالية العامة والتشريع المالي. ثم قدم الدكتور محمد عبد الله العربي (مصري)، وتولى العمادة بين عامي ١٩٤٨-١٩٤٩ وبين عامي ١٩٥٢-١٩٥٥، وهو استاذ للتشريعات المالية ايضا ، وقد أرسل في بعثة إلى أوربا وعاد عام ١٩٢٤ منها بعد أن أتم دراسته القانونية والاقتصادية في جامعة أكسفورد وفي جامعة ليون بفرنسا تم نشر رسالته للدكتوراه من قبل المعهد الفرنسي للقانون المقارن، وله مؤلفات عديدة في علم المالية والتشريع المالي والقانون الإداري ... وروى لنا الدكتور زكي مبارك في مذكراته الشهيرة " ليلى المريضة في العراق " أخبار بعض الأساتذة المصريين في العراق كمحمود عزمي ومحمود سعد الدين الشريف وحسن سيف أبو السعود وأحمد فهمي وعبد العزيز محمد وما واجهوه من مشاكل مع الطلبة العراقيين وما أثاروه من آراء في الصحافة والتي اختتمت بحادث مأساوي تمثل بمصرع د. حسن سيف على يد أحد طلبته العراقيين الذي أطلق النار على أستاذيه محمود عزمي وحسن سيف وعلى نفسه بسبب نيلهما من كرامته العراقية في مكتبهما ، فتوفي كل من الطالب واستاذه حسن سيف .

الثلاثة الكبار : الذنون والبزاز والبشير

وتولى الدكتور حسن على الذنون، العمادة بين عامي ١٩٤٩-١٩٥١، وهو استاذ مادة القانون المدني، وقد حصل على البكالوريوس في كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام ١٩٣٩، وحصل على شهادة الدكتوراه فيها ايضا عام ١٩٤٦، وله مؤلفات علمية عديدة في القانون الخاص إضافة إلى ترجمته لبعض المؤلفات عن الانكليزية ، وكان قد حاضر في معهد الدراسات العربية في القاهرة عام ١٩٥٥-١٩٥٦. ومن اشهر رجال كلية الحقوق ايضا الاستاذ الدكتور عبد الرحمن البزاز الذي تولى العمادة بين عامي ١٩٥٥-١٩٥٦ وبين عامي ١٩٥٨-١٩٥٩، واشغل عدة مناصب دبلوماسية عراقية منها سفير العراق في كل من القاهرة ولندن بعد العام ١٩٦٣ ، ثم اختاره عبد السلام عارف نائبا لرئيس الوزراء عارف عبد الرزاق الذي حاول الغدر بسيده وفشل في حركته الانقلابية ، فكان ان اختير البزاز رئيسا لوزراء العراق بين عامي ١٩٦٥-١٩٦٦ ، وبعد مصرع عبد السلام عارف ، رشّح ليغدو رئيسا للجمهورية ولكنه لم يستطع تهديدات العسكر العراقيين اولا ، ولم يسلم من فيتو الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يكن كرها شديدا للدكتور عبد الرحمن البزاز ، فاختير عبد الرحمن عارف ..

وهناك دور الأستاذ المساعد محمد طه البشير، وكان تولى العمادة بين عامي ١٩٥٦-١٩٥٨ وبين عامي ١٩٥٩-١٩٦٠ وبين عامي ١٩٦٨-١٩٦٩، وهو استاذ مادة الحقوق العينية التبعية ، وحاصل على شهادة الليسانس في القانون من كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٣٩، وعلى دبلومي الدراسات العليا في القانون العام عام ١٩٤٢-١٩٤٣ في كلية الحقوق جامعة القاهرة .

كلية الحقوق : معقل الحركة الوطنية العراقية

يجمع اغلب الذين التقيتهم من خريجي كلية الحقوق ، ومن مختلف الاجيال القديمة والمخضرمة ان كليتهم كلية الحقوق ببغداد كانت معقلا للحركة الوطنية العراقية ، وخصوصا العهد الملكي ، اذ كانت تضم خيرة الشباب العراقين الذين غدا لهم شأنهم اثر تخرجهم ، واصبحوا من ابرز القادة الوطنيين سواء على مستوى الحياة الحزبية او السياسات المستقلة .. وكان طلاب الحقوق ينظمون المظاهرات الطلابية السياسية وينطلقون بها وهم يطوفون شوارع بغداد الاساسية .. ولقد غدا بعضهم من ابرز قادة الاحزاب الوطنية العراقية .. ان واحدا مثل حسين جميل واضرابه من الشباب الوطنيين الذين كانت لهم ادوارهم ابان العهد الملكي في العراق ، كان قد تخرّج أغلبهم في اروقة كلية الحقوق العراقية التي حملت في جوفها الافكار السياسية الجديدة ، وجددت كثيرا في المفاهيم الوطنية العراقية .. فضلا عن حملها لواء التجديد في المجتمع ، خصوصا بدخول النسوة العراقيات ليدرسن الى جانب الرجل .. ان اغلب الذين أسسّوا وانتموا الى الحركات السياسية الليبرالية والديمقراطية الوطنية العراقية كانوا من خريجي كلية الحقوق العراقية ، وقد غدت لهم مكانتهم الكبيرة في المجتمع العراقي ، كما كانت لهم علاقاتهم السياسية والتجديدية بقوى سياسية في العالم .. ناهيكم عن اولئك الذين تخرجوا في كلية الحقوق وانطلقوا في عملية اثراء واسع للفكر الوطني العراقي اولا والفكر القومي العربي ثانيا اضافة الى الذين حملوا لواء اليسار والراديكالية ثالثا .. انهم جميعا سواء اصابوا ام اخطأوا ، فلقد انطلقوا من تفكير وطني عراقي مطالبين بتحقيق اهدافهم العليا والدنيا بدءا بالاستقلال والسيادة وتطوير البلاد وحفظ امنها .. مرورا بالوحدة او الاتحاد العربيين .. او جعل العراق بروسيا العرب ، او الانطلاق به وطنيا ليكون في مصاف الدول المتقدمة بعيدا عن الاستعمار والتبعية .. الخ من الشعارات التي رفعتها الاحزاب والقوى السياسية المختلفة على الساحة العراقية . وبالرغم من نضوج مؤسسات تعليمية عراقية عليا مثل دار المعلمين العالي ببغداد والتي كان لها دورا كبيرا في كل من الخمسينيات والستينيات ، الا ان كلية الحقوق بقيت حتى عهد الاخوين العارفيين عبد السلام وعبد الرحمن ، مكانا يثير الاعتزاز بقوة مظهره ، وزهرة تاريخه ، وروح مضامينة ناهيكم عن سلسلة الاجيال التي تخرجت فيه ، وصولا الى الزمن الذي تدمر كل شيئ في العراق .

ماذا نستخلص ؟

ان كلية الحقوق العراقية بقدر ما استقطبت ابرع الاساتذة في مرحلة ما بين الحربين ، فلقد استقطبت ابرز الاساتذة والعلماء من كبار رجال القانون الاكاديميين ، اذ ان هناك العديد من الشخصيات اتذكر منهم : ضياء شيت خطاب وشفيق العاني وعبد الامير العكيلي وعبد الجبار عريم وحسن الهداوي واسماعيل مرزة وسعد العلوش وعبد الحسين القطيفي وسعدون القشطيني واخرين من خيرة العلماء الابرار. لقد كان ابناء نخبة العراق يتبارون للانخراط فيها ..

وكان التنافس على اشده بين الحقوق والطب في العاصمة بغداد .. فضلا عن ان الحقوق قد قبلت منذ ذلك الوقت بعض الفتيات العراقيات للدراسة الى جانب الرجل ، فكان ذلك بمثابة قفزة نوعية في التعليم العالي العراقي .. واعتبرت صبيحة احمد الشيخ داود اول خريجة حقوقية عراقية ببغداد .. كما ان الكلية نجحت ولأول مرة في اصدار منشورات واعمال علمية في القانون والقضاء .. وان اروقتها شهدت بروز العديد من رجال العراق الذين سيلمع دورهم النهضوي سياسيا واداريا وقضائيا .. وآخر ما يمكنني ذكره ، ان كلية الحقوق العراقية قد تخّرج فيها العشرات من افضل الكّتاب وابرز المبدعين وامهر الصحافيين وجملة من الادباء والنقاد والمؤرخين الذين اثروا الحياة النهضوية العراقي على امتداد القرن العشرين .

صبيحة الشيخ داود

توفيق السويدي

حكمت سليمان

حسو إخوان .. وأوروزدي باك ... علامات بغدادية لا تنسى !

شوان العمري

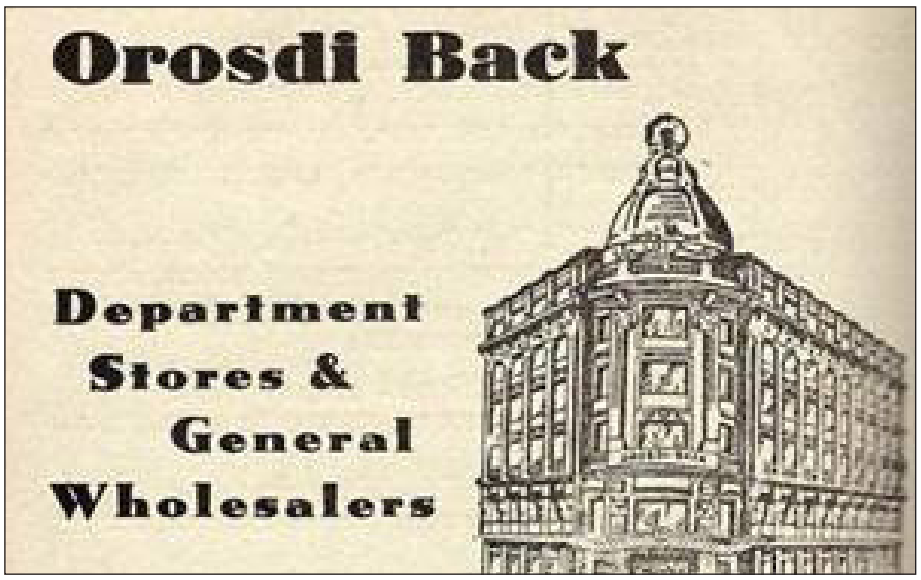

اورزدي باك في شارع الرشيد

اليوم وبعد أن ودعت بغداد ألزمن ألجميل وتلاشت صورتها المشرقة حكاية حسو أخوان وبغداد الخمسينات ربما تبدو وكأنها من قصص ألف ليلة وليلة أو ضرب من الخيال لما حصل من خراب للعراق وتحديدا بغداد بعد قيام الجمهورية وخاصة بعد عام ٢٠٠٣ فماذا عن حسو أخوان؟.

دخل التلفزيون بغداد في ١٩٥٤ حيث عرضته شركة باي الألمانية وقامت بشرائه حكومة العراق في عهد الملك فيصل الثاني وأفتتح الملك البث بتاريخ ١٩٥٦/٥/٢ بمناسبة ميلاده الواحد والعشرين ، بذلك أعتبرأول تلفزيون بالشرق الأوسط وهرعت الناس الى المقاهي التى تمتلك ذلك الجهاز ألاعجوبة ، وبدأ البغداديون بشراء التلفزيون الذي أصبح لابد منه والبعض فضّل أن يشتري الجهاز من أسواق حسو أخوان الواقعه في شارع الرشيد قرب ساحة حافظ القاضي (ساحة فيصل الثاني سابقا) وحسو أخوان عبارة عن محل كبير فيه ما يحتاجه البيت من كهربائيات الى ملابس ولعب أطفال وغيرها وما يسمى اليوم في دول الغرب للتسوق وقفه واحده للتسوق ..... One Stop Shoppers. وخدمات ما بعد البيع أي صيانة وتصليح الأجهزة الكهربائية ومنها جهازالتلفزيون بالنظام المعروف عالميا after sale service

المعمول به في بعض البلدان الغربية وأستمرت أسواق حسو أخوان بتقديم خدمات الصيانة ألتزاما منها طالما الجهاز مباع من قبلهم وأتذكر أحد الفنيين الذي كان يقوم بصيانة جهاز التلفزيون ماركة باي الذي أشتراه والدي المرحوم كان يأتي أينما سكنا في بغداد بسيارته نوع أنكليا أنكليزية الصنع وعدّته مع أبتسامته التى لاتفارق وجهه ليقوم بفحص ألجهاز وتنظيفه أو تبديل لمبه حين كانت التلفزيونات الأسود وألابيض تعمل بنظام اللمبات وأن تعذر أصلاحه في البيت يقوم ذلك الفني بنقل التلفزيون الى ورشة الصيانه في شركة حسو لأصلاحه ثم أعادته لنا .. وأستمرت تلك الخدمة الى نهاية الستينات حيث أغلقت الشركة بعد أصدار القوانين التي تحد من ألاستثمارات ألاهلية..

ولم تكن شركة حسو أخوان الوحيدة التى أغلقت أبوابها بل شركات عديدة مثل وكالات بيع السيارات ماركة فورد وشيفروليه ومحلات نوفكس الشهيرة ببيع الملابس الرجالية ومكتبة مكنزي وغيرها من المعالم الشهيرة ، ومن الطرائف التى تحصل كان بعض زوار بغداد من المحافظات يسألون عن أورزدي باك فيقولون أين أورزدي بيك ضنا منهم أنه أسم شخص والعبارة بيك كانت تستخدم للتفخيم وهي تركية ألاصل.

أما اورزدي باك فهي كلمة ارتبطت بكل ماهو جيد من بضاعة ظهرت لاول مرة اوائل الثلاثينات من القرن العشرين ، والاورزدي كما يسميه العراقيين كان مكانا تباع فيه البضائع المنوعة المستوردة والمحلية وهي تشمل كل شي مثل الملابس ، الاقمشة ، لعب الاطفال ، المواد الغذائية ،المواد الكهربائية ، الادوات الاحتياطية ، الاكسسوارات ، العطور ، لوازم الاطفال ، لوازم نسائية وتقريبا كان يباع كل شي يخطر على البال ، وغالبا تكون البضاعة جيدة ومن مناشئ اوربية غربية ويابانية ، واصل كلمة اورزدي فقد تعددت الاقاويل عن اصلها ، فمنهم من قال:- ١- انها مشتقة من الكلمة الانجليزية Ours Day Bag اي حقيبة تسوقنا اليومية. ٢- انها اسم شركة اجنبية افتتحت اول سوق بهذا الاسم. ٣- انها كلمة فرنسية تعني سوق مركزي او مول ٤- انها مشروع تجاري في بغداد تابع لشركة عمر افندي وقد بيعت الى يهودي فرنسي يدعى اورزدي باك وسمي السوق بهذا الاسم.

ويقال أيضا ان أوروزدي باك يرجع اسمه إلى أودلف أوروزدى الذي كان ضابطاً بالجيش المجري افتتح أول محل له لبيع الملابس بمدينة جالاتا عام ١٨٥٥ .ولقد بدأ أوروزدى وأبناؤه وهم من عائلة باك ذات الأصول النمساوية المجرية بإنشاء معارض شبيهة في أماكن متعددة بما فيها بغداد وإسطنبول وبيروت.ثم اشتراها ثري يهودي في القاهرة وسماها سلسلة متاجر "عمر أفندي" في مكانه الذي ما زال قائماً في شارع عبد العزيز .

وبني اورزدي باك على ارض وقف قره علي والتي كانت عبارة عن قهوة ومسافرخانه (فندق) و مربط للخيل وهي ارض واسعة المساحة حدودها ما يلى من الامام شارع الرشيد ومن الخلف نهر دجلة و من الجانب الايمن (وانت تواجه البناية) ملك بيت الباججي ومن الجهه اليسرى مدرسة قره علي و تكية قره علي وجامع علي جلبي (جامع سيد سلطان علي) ودور بيت قره علي. هذا الموقع المتميزفي قلب بغداد وعلى اكبر شارع فيها و بمساحتها الشاسعة اجتذب انظار شركة عمر افندي التجارية لصاحبها عمر افندي الأرنئوط الالباني الاصل بالمفاتحة ببدء المشروع التجاري في بغداد لكن شركة عمر افندي بيعت الى يهودي فرنسي يدعى اورزدي باك والذي اخذ الخطوات الجدية في التعاقد مع متولي وقف قره علي محمد رشيد جلبي(رشيد جلبي) بن عبد الكريم جلبي قره علي و بواسطة ممثل الشركة شاؤل المحامي المعروف من ملة اليهود و تم تآجير الارض اجارة طويلة لمدة ستة و ثلاثين سنة .

من جهة أخرى شغلت المطربة عفيفة اسكندر الأوساط الفنية والثقافية في بغداد، لسنوات طويلة، فهذه الفنانة التي دخلت الإذاعة العراقية عام ١٩٣٧ اصبح اسمها بين ليلة وضحاها على كل لسان،، كان السحر عند الناس آنذاك هو الراديو. لقد استحوذ الأثير المغني على البيوت. وجاءت هذه الفتاة من أربيل الى بغداد، صبية تحلم بعالم من الشهرة والأضواء، كان عالم بغداد جميلاً ومختلطا وملوناً، ففي هذه المدينة، تحمل الشوارع المضاءة اسماء ملوك وشعراء وأمراء، أشهرها الرشيد،، فهنا أنشأ تاجر مسيحي أشهر المحال "حسو اخوان" وافتتح مسيحي آخر أشهر ستوديو للصور "ارشاك"،. وفي هذا الشارع ينشئ مسيحي آخر أشهر فندق "دجلة بلاس" في هذه المدينة التي تتطلع الى المستقبل بعيون مفتوحة علقت الشواهد على شوارعها الرئيسية، الملك فيصل، المتنبي، ابو نواس، الأمير غازي، ابن سينا.تلك، كانت بغداد في الثلاثينيات. والقادمون يأتون من قريب ومن بعيد. يغنون. ويعشقون، ويحلمون بيوم يصبحون فيه أبطالا، قادرين على العيش برفاهية، وعلى الحصول على جهاز راديو، طراز "سيرا" او "باي"، يغني لهم من داخل البيت، بدلا من اسطوانات جقماقجي وبيضافون. في البيت الذي سكنته عفيفة اسكندر في كرادة مريم كان المذياع يصدح بأغنيات سليمة مراد ومنيرة الهوزوز وزهور حسين والقبانجي، وكانت تمضي أكثر الوقت،، من اجل ان تسمع ما تحب. الإذاعة نفسها، "إذاعة بغداد"، كانت على بعد خطوات من البيت الذي سكنته عفيفة، وسوف تغامر ذات يوم،، بالذهاب صوب الإذاعة، وتطلب من فؤاد جميل مدير الإذاعة آنذاك أن تغني، ولكن من سيلحن لها الأغنية؟ لم يكن غير اليهودي العراقي صالح الكويتي الذي كانت أصوات المطربات تنتظر عند عتبة بيته. غنت فأطربت وقبضت أعلى اجر تأخذه مطربة آنذاك وهو دينار ونصف الدينار دفع لها من أموال الجباية التي تأخذها الإذاعة نظير تقديم برامجها لمن عنده جهاز راديو، فحين أنشئت الإذاعة عام ١٩٣٦ اعترضت وزارة المالية على المبالغ المخصصة لعدم وجود تخصيصات مالية لمثل هكذا مشاريع، فتفتق ذهن البعض عن فرض رسم بمبلغ ربع دينار سمي برسم الراديو يؤخذ من أصحاب المقاهي والمحال والبيوت التي تضع هذا الجهاز و هكذا نشأ جيش من الجباة بزي موحد يجوبون المقاهي والمحال و يطرقون ابواب البيوت و يتنصتون على الناس من خلف الشبابيك قائلين:عدكم راديون ويكون الجواب لا يابه عدنه قبول".

بـــاب الســلــطــان

سالم الآلوسي
باحث واثاري

باب المعظم أحد معالم بغداد التأريخية والاثرية وقد كسب هذا المعلم شهرة واسعة قديماً وحديثاً بسبب الحوادث التي جرت فيه وعدد الاسماء التي اطلقت عليه دون سائر الابواب الثلاثة الاخرى في سور بغداد الشرقية .

في البدء كان باباً معقوداً ولم يلبث ان اصبح منطقة ورقعة جغرافية مهمة في خارطة بغداد . ومن اسمائه : باب بغداد ، الباب الشمالي ، باب المعظم ، باب الاعظمية ، باب السلطان ، باب سوق السلطان ، دروازة باب السلطان ، هذا ما اخبرتنا به كتب التأريخ والتراث .

سمي بالباب الشمالي لوقوعه في الناحية الشمالية من المدينة وباب بغداد لان السلطان السلجوقي محمد طغرل بك عند دخوله بغداد عام ٤٤٧ هـ ضرب خيمة بباب بغداد ، اما باب المعظم او باب الاعظمية كما يسميه المؤرخ العراقي الكبير الاستاذ عباس العزاوي لانه يؤدي الى مرقد الامام الاعظم النعمان بن ثابت الكوفي . وسمي باب السلطان او باب سوق السلطان نسبة الى السلطان السلجوقي المذكور ، وسوق السلطان هو سوق الميدان الحالي . (دليل خارطة بغداد)

واخيراً جاء الاسم بصيغة "دروازة باب السلطان" ويعلق الدكتور مصطفى جواد على ذلك بقوله : لاداعي لذكر لفظة "باب" لان كلمة دروازة الفارسية معناها الباب . عن (في التراث العربي ،ج ١ ، ص ٨٣)

الخوانق والباب : ذكرنا سوق السلطان

الذي اشتهر حتى نسب الباب اليه فكانو يقولون : باب سوق السلطان ، فقد جاء في حوادث سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) ان الخوانق – اي الخناق فشت في اهل بغداد ، وان امرأة منهم رأت في المنام امرأة من الجن تكنى (ام عنقود) وانها اشارت الى بئر داخل سوق السلطان وقالت : ان ابني عنقوداً مات في هذا البئر ولم يعرف فيه احد ، فلهذا اخنقكم " فشاع ذلك في الناس فقصد البئر جماعة من العوام والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة واقاموا هناك العزاء (في التراث العربي ج ١ ص ٨٢)

اما اخبار الغزو المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ فتقول ان هولاكو كان على رأس القوات المغولية يقود الجيش بنفسه فجعل معسكره الى شمال بغداد وعسكر الجناح الايمن من الجيش قبالة المدينة اي الجهة الشمالية مواجها لباب سوق السلطان او باب السلطان والجناح الايسر من الجيش قبالة باب كلواذى (من التراث العربي ج ١ ص ٢٩٠)

ويذكر المؤرخ الفارسي حمد الله المستوفي الذي دون كتابه في سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٠م) ليسجل " كان الدخول لمدينة بغداد من الباب الوحيد في السور الشمالي المعروف ب (باب السلطان) فقط (عن : لاسترنج ص ٢٣٩ ، مما يدل على غلق الابواب الثلاثة الاخرى .

وفي اخبار الشاه محمد بن قرة يوسف من آل قره قوينلو سنة ٨١٤ هـ (١٤١١م) انه سار الى بغداد حتى وصل الى باب سوق السلطان (من التراث العربي ج ١ ص ٨٢) اما مصطلح (دروازة باب السلطان) فقد ورد في اخبار موت السلطان احمد اويس والتمويه على الناس بأنه حي فقد جاء " ووقع السيف ببغداد وقتل خلق كثيروكل من قال السلطان مفقود قتل ، مضى على هذا مدة ثمانية شهور والشاه محمد ناصر على دروازة باب سوق السلطان (من التراث العربي ، ج ١ ص ٨٣) .

ومن الحوادث التاريخية المتصلة بـ (باب المعظم) ان فاتح في بغداد ١١ / ٣ / ١٩١٧ قائد الجيش البريطاني الجنرال ستانلي مو [Stanley maud] دخل بغداد من جهة باب المعظم على ظهر فرس الى (خليل باشا جاده سي) ولم يدخلها من الباب الشرقي (باب كلواذى) وذلك لدواعٍ واسباب منها : اظهار قوة وعظمة بريطانيا وجيشها ، ولكون الجانب الشمالي من بغداد وباب المعظم تمثل الجزء الاهم والاعظم من بغداد من النواحي العسكرية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية لوجود عدد من المؤسسات والمواقع والدوائر في هذه المنطقة مثل : قلعة بغداد ، بناية القشلة والسراي والجوامع والمدارس والاسواق وبيوت كبار العسكرين والمدنين فيها واخيراً اعلاناً لنهاية السيطرة العثمانية على العراق. بقي باب المعظم قائماً حتى عام ١٩٢٣ حتى اقدمت امانة العاصمة على هدمه لتوسيع الشارع العام .

كان اول من سعى لبناء مشروع عراقي (صناعي - زراعي)

عبد الهادي الجلبي جذب العقول الوطنية وناصر الحركة الديمقراطية

شهاب أحمد الحميد
باحث ومتخصص في الصحافة العمالية

يبدو أن الزميل الباحث الصحفي سعيد عبدالهادي سكرتير تحرير جريدة المؤتمر ، كانت لديه دراسة عن السيرة الذاتية للدكتور احمد عبدالهادي الجلبي رئيس المؤتمر الوطني العراقي وفي حينها طلب مني اعداد دراسة او بحث عن عبدالهادي الجلبي في اواسط العام ٢٠٠٥ فاجبته بشيء من عجالة ببعض النكات والتندرات التي كانت تفيض على لسان المفكر المرحوم عبدالفتاح ابراهيم وهي محط اعتزاز في ذكرياته الحسنة وانعكاس لعلاقاته الاجتماعية مع رموز وفئات المجتمع العراقي. على هذا فقد تصدرت تلك الرواية المقال او الدراسة التي نشرت في العدد ٩٨٨ بتاريخ ١٣ كانون اول ٢٠٠٥ تحت عنوان الدكتور الجلبي.. سيرة موجزة على النحو الاتي: (ولد احمد عبدالهادي - ابو الهاشم - عام ١٩٤٤ ، وقد روى لنا احد الاصدقاء نقلا عن المفكر العراقي عبدالفتاح ابراهيم وكان مساهما في شركة يديرها عبدالهادي الجلبي (ان الحاج جاء في احد الايام مضطربا وجهه وحين سالناه اجاب: ما اعرف اشاكول اليوم رزق ابني رشدي بولد، ورزقت انا ايضا بولد) والمولود المعني هو الدكتور احمد الجلبي) وبالنظر لانقطاعي عن متابعة الصحف اليومية، الا ما ينشر عن مقالات او دراسات عن المرحوم عبدالفتاح فقد كلفت اولادي بجلب كل ما ينشر عنه ويقع تحت انظارهم وهكذا فعل احد اولادي الذي جلب لي في مطلع ٢٠٠٧ هذا المقال الذي وجده (بالانترنيت). وبودي ان اوضح بعض الملاحظات لما من شأنه ان يضيف شيئا جديدا ، جديرا بالاهتمام سواء بالنسبة للمفكر عبدالفتاح ابراهيم او بالنسبة للسياسي احمد عبدالهادي الجلبي باعتبار الاخير عرابا للمشروع الديمقراطي في العراق ، في حين ان الاول صاحب مشروع الشعبية الديمقراطية ودولة القانون الذي طرحه في العراق منذ مطلع ثلاثينيات القرن العشرين على اسس الحداثة العصرية لبناء المجتمع المدني بطريقة اللاعنف،، حيث لم يتحمل سنام الجمل العربي وزر هذا المشروع الذي ضاقت به ذرعا تخوم الارض العربية (من المحيط محيط الهادر حتى الخليج الثائر!) فابتلعته رمال الجزيرة ومياه الخليج العربي بفذلكة مكافحة الشيوعية على الطريقة الهندية!

منذ ذلك الحين (ضاع الجمل بما حمل) حسبما يقال بالامثال التي تضرب ولا تقاس ، ولكن بعد ثلاثة عقود من النظام الدكتاتوري الشمولي ظهرت امتعة (الجمل العربي) وقديما قيل ان الحاجة ام الاختراع وتلك هي القضية؟! ربما .. وربما كان الاخ سعيد عبد الهادي يستطيع ان يستطلع الراي فيها، عندما استهل (سيرته الموجزة للدكتور احمد الجلبي) بتلك القضية التي تلملمت فصول احداثها الادراماتيكية عبر قراءات لعدد من الكتب الصادرة خارج العراق ، الى جانب مواقف الشخصيات التي مازالت تعيش في الدول الاوربية، وما افرزته الاحداث بعد التاسع من نيسان ٢٠٠٣ التي لا يتسع المجال لذكرها بمثل هذه العجالة ، ومن المؤكد سوف نتناولها بشكل وثائقي مفصل بعدما توضحت الصورة من قريبا وبعيدا.

ما بودي الاشارة اليه ان مواليد الدكتور احمد الجلبي لم تكن حسب حكاية عبدالفتاح ابراهيم في سنة ١٩٤٤، انما في مطلع الخمسينيات حيث تأسست شركة الجوت العراقية التي كان على رأس مجلس ادارتها المرحوم عبدالهادي الجلبي، ومديرها المفوض نصرت الفارسي ، اما المدير التنفيذي لادارتها فكان المرحوم عبدالفتاح ابراهيم الذي حدثني عن ذلك، وكان يمتلك سبعمائة سهم فقط من رأسمال الشركة المذكورة التي كانت اول مشروع عراقي ذات صفة صناعية - زراعية من نوعه في العراق وما يزال المعمل في منطقة الطوبجي الى الغرب من مطاحن السلام وبستان عبدالهادي الجلبي اللذان شكلا المدخل لمدينة الهادي (مدينة الحرية في الوقت الحاضر) وفيها قصره الفسيح منذ اربعينيات القرن الماضي ، الذي كان يرتاده الوصي عبدالاله والملك فيصل الثاني الى جانب العديد ممن يلتقيهم الملك من شباب الكاظمية وشيوخها، ربما كان الدكتور احمد جلبي اصغرهم سنا في ذلك الوقت كونه من مواليد عام ١٩٥٢ حسب الرواية التي اوردها (المفكر العراقي عبدالفتاح ابراهيم) في معرض احاديثه (معي) اذ انه في عام ١٩٤٤ كان منشغلا مع المرحوم عبدالجبار الجلبي بتأسيس عدد من مؤسسات المجتمع المدني في مقدمتها جمعية (الرابطة الديمقراطية) الثقافية ومجلة الرابطة ورابطة مكافحة الامية، ورابطة الدفاع عن حقوق المرأة ، ولجنة الرابطة للتاليف والنشر والترجمة الى جانب العديد من الهيأت الرابطية الاخرى التي كان من ابرزها مطبعة الرابطة، غير ان عبدالفتاح اثر تصفية الحريات الديمقراطية في العراق بعد اتفاقية (جبر - بيفن) وغلق حزب الاتحاد الوطني الذي كان يترأسه ، اتجه (للتجارة والصناعة) للعمل مع عبدالهادي الجلبي في شركة الجوت العراقية وليس كما يذكر الفنان يوسف العاني بان عبدالفتاح اشتغل في شركة الزيوت النباتية لصاحبها محمد حديد - يومذاك - تلك هي مجرد الموحة الفت نظر الباحثين اليها كونها ترددت على قلم (العاني) لمرتين الاولى بجريدة العراق، والمرة الثانية في جريدة المدى في العام ٢٠٠٣.

مع الملك فيصل الثاني في افتتاح مستشفى الجلبي

خيط السياسة.. وجنب المال

مع انه لا تربط اسرة الجلبي بعائلة عبدالفتاح ابراهيم غير ظلال خيوط السياسة التي لم يوثق (جنب المال) عراها بين الاسرتين (الكاظمية - والكيلانية) منذ ان جرى تعيين السيد ابراهيم والد عبدالفتاح مديرا لاوقاف الكاظمية عام ١٩٢٤ فان تعرف على ال الجلبي الذين يمتازون بثراء معروف يوم كانت منازلهم تحيط بساحة حضرة الامامين الكاظمين، وتجارتهم بكل انواعها كانت تملأ ساحة (باب المراد) من رأس دربونة الاستربادي الى رأس دربونة محلة (الفضوة) التي تدخل منها مواكب العزاء الحسينية الى منطقة علاوي الكاظمية وحتى خان الدجاج الملاصق لسور الامام من الجهة الجنوبية المؤدي الى محلة (السميلات) وتحولت معظم تلك البيوتات الى فضاءات واسعة حتى تتصل بجسر الامامين في الوقت الحاضر.

بستان الجلبي.. يستضيف حركة انصار السلام

لكن من المؤكد بان عبدالفتاح ابراهيم استطاع ان يمد العديد من جسور التواصل على الطريق الديمقراطي مع عبدالهادي الجلبي الوزير المناصر لجريدة الاهالي في الخط الاول والمدافع عن منهج الديمقراطية الليبرالية الذي تشكل راس النفيضة الاولى فيه من وزير العدل (محمد زكي البصري) الى جانب (نصرت الفارسي) كذلك (عبدالهادي الجلبي) والد احمد الجلبي الذي امسك بخيط (اللعبة السياسية) في العراق بعد الالفية الثالثة، بعدما تم العثور على (راس الشليلة) في ادارة العملية الديمقراطية العراقية على يد العديد من المضحين الانقياء بتوجهاتكم الديمقراطية ذات البعد الاخلاقي ، والاصالة العراقية منذ مطلع خمسينيات القرن الماضي امثال الرفيق سليم الجلبي ، والدكتور الطبيب (احمد الجلبي) من المؤسسي في الاوائل لحركة انصار السلام في العراق التي عقد مؤتمرها الاول ببستان الجلبي على ضفاف دجلة عام ١٩٥٦.

عائلة احمد الجلبي ، على جدار الزمن تبقي العديد من الحكايات المعاصرة في جانبها الغث او السمين وتتناهى في الخواطر، واخرى طالما ترددت على لسان عبدالفتاح ابراهيم على مسامعي فان الامانة التاريخية تستلزم وضعها في هذا البحث التاريخي لكي لا تجتزئ الحوادث، وتشوه الاحداث عن غير قصد، وبخاصة ما ينسب لاناس تاريخيين ومفكرين وضعوا بصماتهم على شرفات المستقبل للانسانية في اوطانهم على هذا سأضعها حسب التسلسل الزمني للاحداث.

الانتخابات النيابية لعام 1954

في اطار الانتخابات النيابية لعام ١٩٥٤ في الكاظمية حدثت مشادة كلامية بين مشجعي الانتخابات للمرشحين ممن يعبرون عن الحكومة واخرون عن احزاب المعارضة للجبهة الوطنية الى قرب المركز الانتخابي في منطقة ام النومي، التي تعتبر معقلا للشيوعيين في العهد الملكي وتسمى شارع موسكو وكان عبدالهادي الجلبي يعتبر من الفريق المحسوب على الحكومة حيث يقيم الولائم في داره للناخبين وان ولده رشدي في مقدمة المرشحين.. فقد حدثت مشاجرة كلامية بين الفريقين سقط نتيجتها احد الشباب المتحمسين قتيلا في اثناء تلك الانتخابات نتيجة اطلاق النار من قبل قوى الامن المشرفة على المركز الانتخابي فحمل المعارضين الشهيد القتيل وساروا به بتظاهرة استنكار عارمة طافت شوارع الكاظمية ، فاغلقت الاسواق والمحال ابوابها في مدينة الكاظمية، مما ادى الى الغاء الانتخابات لكثرة الحوادث التي رافقتها في مناطق اخرى من انحاء بغداد.

ورباط الكلام ، ان اتهم (فرحان هدب) باطلاق النار وهو من القريبين الى عبدالهادي الجلبي ومن ابناء عشيرة الطائي والقي القبض عليه وصدر الحكم المؤبد عليه في حينه، وفي سنة ١٩٥٦ لمناسبة تتويج الملك فيصل الثاني صدر العفو عنه، واطلق سراحه من السجن بارادة ملكية.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وسقوط العرش الملكي في العراق كان حامد قاسم شقيق الزعيم عبدالكريم قاسم وكيلا في تجارة الحبوب مع عبدالهادي الجلبي، وكانت مشاريعه الخاصة تسير بشكل نظامي تبعا لهياكلها الادارية.. غير انه كان يقيم في لبنان، ويتنقل بين لندن والاردن كما كان يشاع ، وان داره في الاعظمية اصبح مقرا للسفارة الهندية ببغداد.. ما بودي ان اذكره هنا نقلا عن المرحوم عبدالفتاح ابراهيم (بان زوجة نوري السعيد طلبت من عبدالهادي الجلبي ان يشتري منها (المحبس) الوحيد الذي تملكه لكي تدفع ثمنه تعويضا للمغنية العراقية (لا اتذكر اسمها) التي اقامت الدعوى على نوري السعيد في لندن لكي تبرئ ذمته.. وقد دفع عبدالهادي الجلبي ثمن (المحبس) دون ان يتسلمه من زوجت الباشا.

ذكريات عن امتحانات البكالوريا

مجيد اللامي

المعروفُ لدى المطلعين ان سلطة الانكليز المحتلة لم تكن متحمسة اول الامر الى اعادة فتح المدارس في البلاد ولكن حاجتها الى كتاب محليين من العرب وكثرة مطالبة الاهلين للمسؤولية حول ضرورة انقاذ ابنائهم من الطرقات اضطرها الى التفكير بامر فتح المدارس.
ان التفكير في فتح المدارس يقتضي وجود عدد كاف من المعلمين الاكفاء غير ان الموجود منهم كانوا معلمين في العهد العثماني ومعظمهم لا يعرف العربية كما ان معلومات بعضهم كانت ضحلة فكيف تحل هذه المشكلة؟

وحلاً لهذه المشكلة قررت السلطة فتح معهد تكون الدراسة فيه على شكل دورات لاتزيد مدة الدورة عن ثلاثة اشهر ولكن اين الطلاب؟!
لقد اصطدم المسؤولون بمشكلة عدم رغبة الاباء في دخول ابنائهم بهذا المعهد لانهم لا يريدون لهم ان يكونوا معلمين والمعلم بالرغم من عمله الشريف ينظر اليه المجتمع نظرة سخرية واستخفاف فما العمل؟ اتبع المسؤولون لحل هذه المشكلة طريقين الاول اقناع الاباء باهمية هذه المهنة واثرها في خدمة الامة والثاني اعطاء مخصصات شهرية للطالب الذي يدرس في هذا المعهد وهكذا تقدم عدد من الطلاب للدورة الاولى التي تخرج فيها سنة ١٩١٧، ثم تتابعت الدورات واخذت مدة الدراسة تزيد الى ان استقرت بعد ذلك على سنتين ثم ثلاث ثم اربع سنوات.
وفي يوم ١٠/١٠/١٩١٧ اعلنت (نظارة المعارف) اعلاناً تبين الخاصة بها والرابعة في دار صغيرة تقع في محلة الشيخ صندل.
وهكذا راحت هذه المدارس يتزايد عددها وينتشر في شتى مدن العراق الى ان اصبحت على ما هي عليه اليوم من السعة والانتشار.كانت الدراسة في المدارس الابتدائية اربع سنوات يجري بعدها امتحان حكومي لطلاب الصفوف الرابعة فيها.
وكان اول امتحان حكومي اجرى لهؤلاء الطلاب وسمي بامتحان (البكالوريا) منذئذ هو الذي جرى يوم ٢٦-٢٩ مايس ١٩١٧.
ولما بدأت المدارس القائمة بتخريج عدد من الطلاب قررت نظارة المعارف فتح مدرسة (تجهيزية) على مستوى المدرسة السلطانية في العهد العثماني واعلنت فعلاً عن فتح الصف الاول لها وعينت لادارتها الاستاذ داود نيازي سليم.
وفي سنة ١٩١٩-١٩٢٠ الدراسية قامت في بغداد مدرسة ثانوية مستقلة استقر طلابها في بناية (البعثات سابقاً) مقابل النادي العسكري وعين لادارتها الاستاذ عاصم الجلبي.
وبعد حين انتقلت الى الطابق العلوي من بناية مدرسة المأمونية ثم انتقلت الى البناية الواقعة مقابل دائرة البريد في الميدان حيث لا تزال قائمة وعين لادارتها بعد عاصم الجلبي المرحوم نظيف الشاوي.
وهكذا منذ ذلك التاريخ اخذت المدارس المتوسطة والثانوية تتسع في البلاد..

الماطورات.. تلاحق الجسر الهارب

صادق الازدي

حتى احتلال الانكليز بغداد خلال الحرب العالمية الاولى، لم يكن في بغداد غير جسر خشبي واحد، تمتد الواحة فوق "جساريات" وهي جنائب.دوب.كانت في السابق خشبية مطلية بالقار، ثم استبدلوها باخرى حديدية.
وكان يربط.الجسر.بـ"طوافات" شبيهة بالبراميل مصبوغة باللون الاحمر، وكانت موزعة على جانبي الجسر، وقد ثبت بأرض النهر بواسطة اثقال من حديد، ويتم وصل الجسر بكل منها بواسطة حبال معدنية مبرومة!

كيف صار قديما؟

وقد عرفنا هذا الجسر في العشرينيات وما بعدها، وحتى ازالته وبناء جسر الشهداء الحالي في مكانه، باسم "الجسر العتيك".
بعد ان اقام الانكليز "جسر مود" في "شريعة العمار" حيث يقوم اليوم جسر الاحرار، وكان بطبيعة الحال احدث من الاول، واكثر متانة بفضل الكتل الخشبية الضخمة التي وضعوها في الماء عند مدخليه، لأنهم كانوا يستعملونه لعبور وسائل نقلهم الآلية.
و "مود" هو الجنرال ستانلي مود الذي دخل بغداد على راس قواته بعد ان انسحبت منها القوات العثمانية، وكان له تمثال عند باب مبنى السفارة البريطانية في محلة الشواكة فحطمه الناس في صباح يوم ١٤ تموز ١٩٥٨. ويقول الاديب المحقق الشيخ جلال الحنفي في الجزء الثاني من كتابه "معجم اللغة العامية البغدادية" ان الجسر القديم كان طوله ٢٢٠ مترا، وكان يقوم على ٢٤ جسارية".

مدير الجسر

وكان يشرف على ادارة ذلك الجسر موظف انكليزي، يتقاضى راتبا ضخما وكان مقر عمله في بناية صغيرة تقوم على مرتفع عند مدخل الجسر في الرصافة غير بعيدة عن جامع "الوزير" وقد كتبت عنه جريدة "حبزبوز" في احد اعدادها تقول انه يتقاضى راتبا ضخما لقاء قوله للعمال العاملين بأمرته: "فك جسر.. سد جسر"، ففي حوالي الساعة العاشرة صباحا، كان العمال يقومون بتنحية عدة جساريات من وسطه لتمر السفن عبر الفتحة، فكان الناس يقولون: "انكطع الجسر" فيهرع الرجال الى مقهى كان يقوم عند جدار المدرسة المستنصرية، يشربون الشاي والقهوة، ويدخنون النراكيل، ويتفرجون على السفن المارة من فتحة الجسر، اما في جانب الكرخ فكانت المقاهي تحتل الارض المطلة على النهر من جانبي رأس الجسر، ومازالت بعضها باقية، وقد جددت بنايتها!

كيف "ينهزم" الجسر؟

وكان نهر دجلة، والفرات مثله، يفيض في فصل الربيع، وكانت فيضاناته حتى وقت غير بعيد مدمرة، وكانت بغداد تتعرض للغرق، وقد غرقت مرات، وكان الاتصال ينقطع بين جانبيها جراء صعوبة المرور على الجسر عندما يبلغ الفيضان ذروته، كما تتوقف حركة الزوارق والقفف بين ضفتي دجلة، وكان ضغط المياه يؤدي في بعض الاحايين الى تحطم الجسر، وجرف دجلة بعض جساریاته وما عليها، فيتحدث ناس بغداد عن "انهزام الجسر"، ويظل الاتصال بين الرصافة والكرخ متعذرا، حتى تنخفض مناسيب الفيضان فتستأنف الزوارق والقفف عملها، ثم يجلبون "القطعة المنهزمة" من الجسر بواسط "الماطورات" من المكان الذي رست عنده، فيهرع الناس لاستقبال الجساريات المعادة، وهم يقرعون الطبول، احتفاء بعودة الجسر!!

ذكريات اخرى!

مما اذكره وانا طفل في الدراسة الابتدائية انني ذهبت الى بيت عمي في محلة الشيخ بشار، ولما اردت العودة الى بيتنا في القره غول وجدت الجسر ينهزم كالمرجوحة جراء الفيضان الذي رافقته عاصفة ترابية، فلم اجرؤ على اجتيازه، ورأيت بعض الرجال وهم يجتازونه زحفا على صدورهم!
واذكر ان كل الذين كانوا يعملون في الهيئة التعليمية بمدرستنا.التفيض الاهلية.والذين يقيمون في الكرخ وكذلك طلاب المدرسة في الكرخيين كانوا ينقطعون عن الدوام ليومين او ثلاثة، في ايام فيضان دجلة وتعذر اجتياز الجسر!!
واذكر ان "الجسر القديم" قد نقل عندما بوشر ببناء الجسر الحديد الى مكان غير بعيد عن الاول، وصرنا ندخله عندما نريد الذهاب الى الكرخ، من مدخله الواقع بين بناية القشلة، وبناية المحاكم قرب سوق السراي، اي نهاية شارع المتنبي!
وقد نقل الجسر بعد ذلك ليكون بديلا عن الجسر الذي كان يربط بين الاعظمية والكاظمية، ثم نقل الى احدى المدن بعد بناء جسر الائمة الحديدي في نهاية الخمسينيات!
كما ذكر ان "جسر مود" لم تشتد حركة العبور عليه الا بعد ان تنامت الحركة العمرانية في منطقة "الصالحية" وقامت المقاهي الصيفية، ثم اقيم مبنى الاذاعة فيها، والتي بدأت بثها عام ١٩٣٦.
فما اعجب حكايات ايام زمان، غير البعيدة كثيرا؟

عن مجلة قرندل

الحوار الاخير لنوري السعيد

سامي عبد الحافظ القيسي
باحث ومؤرخ

قبل خمسة ايام من قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبالتحديد في ٩ تموز كتب نوري السعيد مقالا الى مجلة التايم العالمية (life international) التي تصدر في الولايات المتحدة .

وفي يوم ١٨ آب ١٩٥٨ نشرت المجلة المذكورة حديث نوري السعيد المشار اليه بعنوان «الوصية الاخيرة لرئيس وزراء العراق: نوري السعيد يتنبأ بانفجار كارثة جديدة». وكان رئيس تحرير المجلة المذكورة قد اشار في بداية ذلك المقال الى ان مقتل نوري السعيد يرجع في بعض اسبابه الى افكاره ومعتقداته وعليه فان اراءه وافكاره كانت بمثابة «وصية لزعيم اعتقد ووثق بالغرب رغم ان سياسة الغرب في منطقة الشرق الاوسط قد اثارته وافزعته».

ها نحن بعد مرور عقود على قيام ثورة ١٤ تموز نجد انفسنا امام حدث اكتسب الخصوصية التاريخية واصبح موضوعه مؤهلا للبحث والدراسة والتحليل وبالرغم من ظهور الكتابات والدراسات بعضها اكاديمي عن الثورة واسبابها والنتائج التي تمخضت عنها تبقى الحاجة قائمة للكتابة عن اقطاب العهد الملكي لتسليط الضوء على ادوارهم والملابسات التي صاحبت سيرهم السياسية. لم يترك ساسة العهد الملكي باستثناء فئة قليلة منهم مذكرات مطبوعة ومنشورة وبالرغم من ان نوري السعيد كان يقف في طليعة هؤلاء السياسيين وانه كان في بؤرة الاحداث السياسية في المنطقة العربية وفي العراق نحو نصف قرن (منذ ان كان طالبا في الكلية العسكرية في اسطنبول عام ١٩٠٨ وحتى وفاته عام ١٩٥٨) الا انه لم يترك هو الاخر اية مذكرات مطبوعة او مخطوطة كما عرف عن نوري السعيد قلة الادبيات التي تركها .

عدا بيانات وخطب متفرقة في جلسات المجلس النيابي وكتيبات لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة لذا فان التطرق الى حديث نوري السعيد الاخير مع دراسته وتحليله يعتبر اسهامة متواضعة في دراسة افكار هذه الشخصية التي لعبت دورا مهما في تاريخ العراق المعاصر.

اضافة الى ما تقدم سيجد القارئ ان نوري السعيد قد تطرق في معظم حديثه المشار اليه الى الجوانب المتعلقة بالسياسية الخارجية فقط دون الاشارة الى الوضع الداخلي العام في العراق .

اذ من الثابت تاريخيا انه يتحمل والاخرون مسؤولية ما حل بالعراق من تدن في الاوضاع الاقتصادية جراء احتكار الشركات النفطية وتحكمها بموارد العراق والاختناقات التي حصلت في مشاريع مجلس الاعمار فضلا على انعدام الحريات الديمقراطية ومطاردة المعارضين وحصر الممارسة السياسية بيد مجموعة من الشخصيات والوجوه المالوفة ويكفي للتدليل على ذلك ان نوري السعيد وحده ترأس الوزارة العراقية اربع عشرة مرة منذ استيزاره للمرة الاولى عام ١٩٣٠ كما اصبح وزيرا للخارجية ست مرات فضلا عن تحكمه بمجمل السياسة العراقية من موقع المسؤولية الوزارية او خارجها .

لقد عرف عن نوري السعيد انه كان رجل بريطانيا الاول والاقوى في الشرق الاوسط ولم يكن يعرف المرونة في معاملة رجال السياسة ولا سيما رجال المعارضة والاحزاب السياسية واستهان «بقوة المعارضة وغضب الشعب وموقف ضباط الجيش كما استهان برجال السياسة العرب في الامصار كافة وكان في كل ذلك يستند الى السياسة البريطانية في العراق والشرق الاوسط وتنفيذها باخلاص». سيتركز البحث في حديث نوري السعيد الاخير بصفة اساسية على الاراء التي وردت فيه ثم تحليلها ومناقشة بعضها اعتمادا على سياق الاحداث التاريخية التي مرت بالعراق وبالمنطقة العربية والتي لعبت دورا اساسيا في تاريخ المنطقة ومصيرها ولكننا نجد ان من المفيد ان نذكر نبذة مختصرة عن حياة نوري السعيد وعن ابرز آرائه السياسية التي آمن بها وعمل على تنفيذها . ولد نوري السعيد في بغداد سنة ١٨٨٨ وكان والده سعيد طه موظفا في دائرة الاوقاف في العهد العثماني قد سكنت اسرته محلة الطوب شمال بغداد درس نوري الاعدادية العسكرية في بغداد وتخرج فيها عام ١٩٠٢ اكمل بعدها دراسته في الكلية الحربية في اسطنبول وتخرج برتبة ملازم ثان في ايلول ١٩٠٨ وعين ضابطا في الجيش العثماني .

تزوج نوري من نعيمة العسكري شقيقة جعفر العسكري عام ١٩١٠ وهو العام الذي تزوج فيه جعفر من اخت نوري وفي عام ١٩١١ التحق بكلية الاركان في اسطنبول اذ تلقى محاضرات في التاريخ وفي السوق العسكري على يد العسكريين الالمان. وخلال الفترة التي تسلطت فيها جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الامور وانتهاجها للسياسة العنصرية المعروفة حيث تسببت تلك السياسة في قيام بعض الجمعيات السرية والعلنية وساهم نوري السعيد في بعضها وكانت جمعية العهد التي اسسها عزيز علي المصري عام ١٩١٣ من اشهر تلك الجمعيات التي انتمى اليها واقسم على الاخلاص لمبادئها وعندما اندلعت الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ بقيادة الشريف الحسين بن علي كانت لنوري السعيد مساهمة بارزة فيها .

وكان اشتراكه في الثورة بداية رفقة مستمرة للاسرة الهاشمية دامت طوال حياته فقد دخل الخدمة العسكرية في الحجاز وتقلد المناصب العسكرية الرفيعة ثم اصبح من اقرب المقربين الى الملك فيصل اثناء الحكم العربي في سوريا (١٩١٨-١٩٢٠) وبعد قيام الحكم الملكي في العراق وترشيح فيصل ملكا على العراق كان نوري السعيد من اشد المؤازين لفيصل ومن اشد المؤيدين للنظام الجديد وقد تبوأ مراكز متعددة قبل ان يتولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٠.

وقد وضحت قدرات نوري السعيد في الميدان السياسي منذ عقده المعاهدة العراقية – البريطانية في عام ١٩٣٠ وابرامها. وكانت تلك المعاهدة قد احتوت على شروط ومواد حققت بريطانيا من خلالها الكثير من مصالحها على حساب العراق ولا سيما الاحتفاظ بقاعدتي الحبانية والشعيبة . وعلى هذا الاساس ظهر نوري السعيد مؤيدا لبريطانيا يحكم العراق بالنيابة عنها. كما زاد نفوذه وقويت مكانته بعد الانتكاسة التي لحقت بثورة مايس القومية والوطنية التحررية لعام ١٩٤١ واعادة بريطانيا احتلالها للعراق وقد خلا له الجو وخدمته الظروف بعد غياب الشخصيات القوية مثل الملك فيصل الاول وعبد المحسن السعدون وجعفر وياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني.

واصبح المسيطر الوحيد على مقدرات العراق السياسية مستندا في ذلك الى تأييد بريطانيا له ومناصرتها سياسته قبيل الحرب العالمية الثانية في اثنائها وفي ما بعدها. ومهما قيل من تدبير لسياسته المؤيدة لبريطانيا من انه قصد بها خدمة العراق والعرب فان «الشعور العام كان عدائيا نحوه وقد تصرف الناس عامة والمثقفون خاصة طبقا لهذا الشعور ساهم نوري السعيد بعد الحرب العالمية الثانية بكل نشاط في خطط حلفائه الغربيين الرامية الى اقامة مشاريع دفاعية لسد الفراغ في الشرق الاوسط ولتطوير الاتحاد السوفييتي .

وعقدت على هذا الاساس معاهدة عراقية – اردنية عام ١٩٤٦ ومعاهدة عراقية – تركية ١٩٤٧ ومعاهدة عراقية بريطانية عام ١٩٤٨ لتكون بديلا عن معاهدة ١٩٣٠ الا ان الشعب العراقي احبطها بوثبته الوطنية المعروفة.

توجت سياسة نوري السعيد المرتبطة بالغرب بالتوقيع على حلف بغداد عام ١٩٥٥ والذي ضم اضافة الى العراق كلا من تركيا وايران وباكستان وبريطانيا وساهمت الولايات المتحدة فيه بصفة مراقب وانضمت الى بعض هيئاته ومؤسساته وكان حلف بغداد عاملا اساسيا في شق الصف العربي وابعاد العراق عن الاقطار العربية كما سبب الى حد بعيد بالاضافة الى عوامل اخرى في سقوط النظام الملكي في العراق.

نص حديث نوري السعيد قبل التطرق الى نص الحديث لا بد من التنويه الى ان الاتي ليس ترجمة حرفية للحديث انما هو عرض له مع الالتزام بالافكار التي وردت فيه وسيأتي تثبيت ملاحظاتنا على الحديث بعد الانتهاء من عرضه.

في بداية حديثه اشار نوري السعيد الى القرار الاميركي الصادر في تشرين الاول ١٩٥٦ والقاضي «بتبني سياسة الدفاع عن الشرق الاوسط» واعتبره من الاحداث المهمة في منتصف القرن العشرين واشار ايضا الى ان اجراءات الولايات المتحدة السريعة والمتلاحقة كانت عاملا حاسما لحماية وانقاذ استقلال مصر . كما كان في هذا القرار اشارة قوية وواضحة الى موسكو من ان «الولايات المتحدة ستعمل وبموجب مبدأ ايزنهاور على منع انتشار النفوذ التشريعي» لقد عبرت تلك الاجراءات في راي نوري السعيد عن قرارات شجاعة لدولة تعرف كيف تتصرف وتتدبر امور السياسة ولكن يبدو الان واضحا أي بعد مرور سنتين على تلك الحوادث ان القرارات تلك لم تعد كافية فضلا عن ان الاحداث قد اشارت الى ان تأييد الولايات المتحدة وسياستها الشرق اوسطية اخذ يتضاءل بشكل ملحوظ وخطير الى درجة انه نفسه كمسؤول عربي يشعر بانه معرض الى المساءلة والاحراج السياسي فيما لو استمر على التعاون او تأييد تلك السياسة . ولزيادة الوضوح اكد بانه لا بد من الجوع الى الوراء في استقراء الاحداث.

لم يعد هذا البرنامج في رأي نوري السعيد كافيا وذلك لانه سوف لا يقيم الحلول لكل مشاكل الشرق الاوسط اذ لانزال المشاكل المتعلقة بفلسطين اولا والعلاقة بين الدول العربية (واسرائيل) ومستقبل اللاجئين العرب ثالثا معلقة بدون حل.

واكد نوري السعيد بان الامم المتحدة قد اعطت لهذه المواضيع والقضايا اهمية خاصة وجادة واننا «ايدنا الامم المتحدة ولكن «لا الولايات المتحدة ولا الامم المتحدة نفسها اتخذت أي قرار او تحرك جدي لاحق لحل هذه المشاكل وهذا ان دل على شيء فانما يدل على قصر النظر.

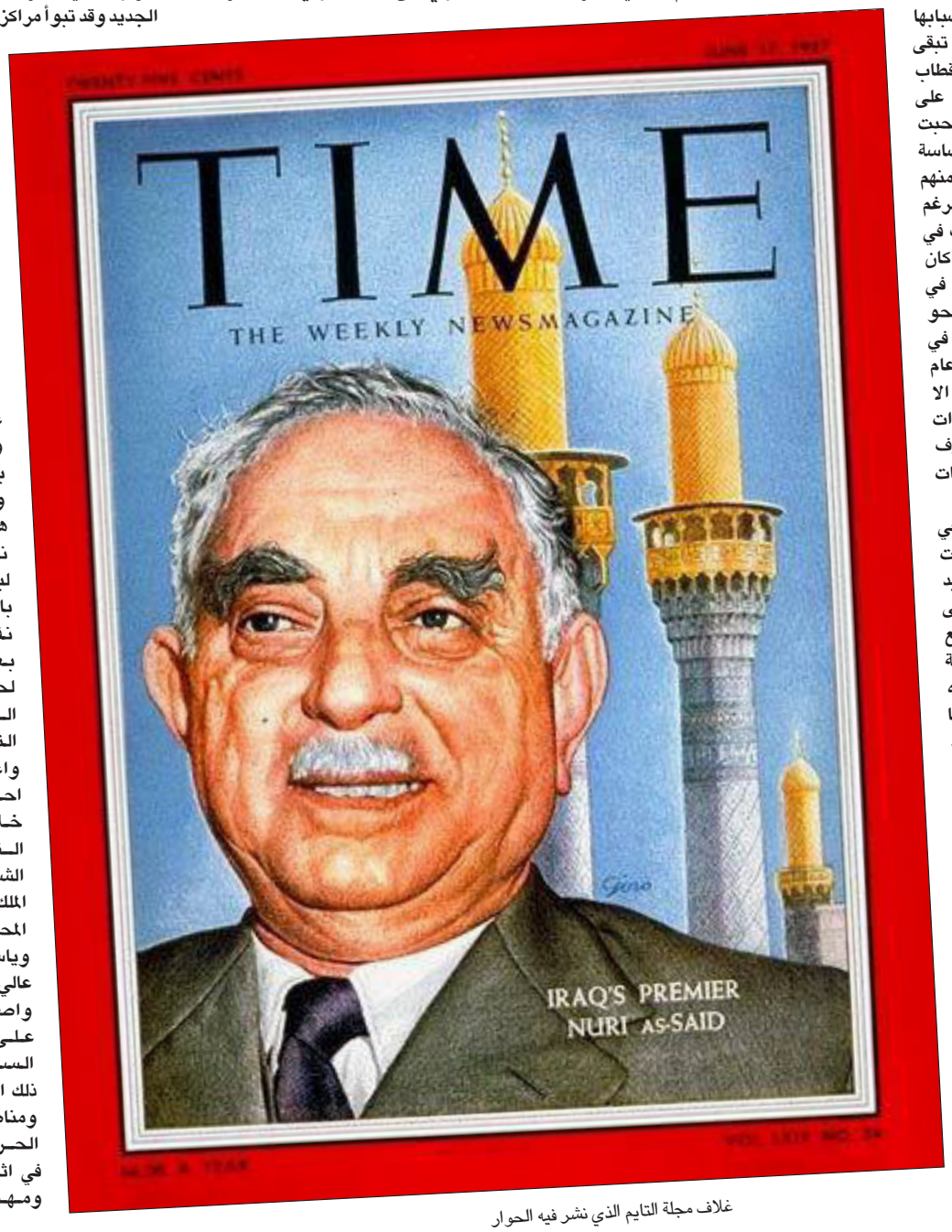

غلاف مجلة التايم الذي نشر فيه الحوار

نهر العشار في البصرة

فقدَ هذا النهر الكبير اسمه الحقيقي منذ زمن بعيد، وتعرض مجراه للتقلصات والتراجعات، التي فرضتها عليه الظواهر الجيمورفولوجية الغامضة وخضع حوضه للتغيرات التكتونية البطيئة من دون أن ينتبه إليه احد. فانكمش مجراه،وتَقزّمَ طوله تدريجيا من ثمانية فراسخ (٢٨ كيلومتر) في زمن الخلافة الراشدية، إلى اقل من ربع فرسخ (كيلومتر واحد تقريبا في المرحلة الراهنة.

كان فيما مضى حلقة الوصل بين دجلة العوراء (شط العرب)، وكرى سعدة (المجرى الأدنى للفرات)، فتشوهت ملامحه الرئيسية بعوامل النحت والتعرية، وتقلبات الفيضان والجفاف والتصحر والاضمحلال، حتى بات على وشك أن يقطع علاقته بالبصرة.

كان معروفا بأعماقه الكبيرة، وبقدرته على استيعاب السفن المحلية والمراكب الخشبية، التي يزيد غاطسها على سبعة أمتار، والمحملة بالبضائع، فتردت أعماقه الآن إلى اقل من نصف متر، وانقطعت علاقته بالتجارة وخطوط الشحن، وغادرته حتى الزوارق الصغيرة إلى غير رجعة.

كانت تتفرع منه شبكة معقدة من الجداول والسواقي والترع، التي تعج بحركة الابلام والقوارب الصغيرة الملونة، اما اليوم فقد جفت تفرعاته كلها، وارتبط مصيره بشبكة الصرف الصحي، وصار مستودعا للمياه الآسنة، وبركة تعج بالأوساخ والقاذورات والنفايات والعبوات البلاستيكية والصناديق الكارتونية.

تجاهل البصريون اسمه الحقيقي من دون قصد، ولم يتطرقوا إليه في كتاباتهم وقصائدهم، حتى إذا سألتهم عن اسمه ؟ قالوا بكل ثقة: انه العشار. وإذا استفسرت منهم عن أصل التسمية ؟. قالوا جازمين: أنها تعود إلى أواخر الدولة العثمانية (قبل ٢٥٠ عاما تقريبا)، وأنها تعزى إلى تجمع العشّارين، لاستيفاء ضريبة العشر (١٠٪) من التجار عند مدخل النهر. ولا يسمحون للسفن بدخول النهر، إلا بعد تفتيشها، وتعشيرها.

لكنك لن تجد من يدلك على اسم النهر عند اندلاع ثورة الزنج، ولا عن اسمه في الأيام التي دارت فيها معركة (ذات السلاسل)، ولا عن اسمه قبل تمصير البصرة، ولا يزال معظم الناس، ومنهم من العاملين في مجالات العلوم التاريخية والتراثية لا يدركون أن (العشار) اسم لأقدم مساجد مدينة (الأبلة)، ولا علاقة له بجمارك الدولة العثمانية وضرائبها. أما الاسم الحقيقي للنهر فهو (نهر الأبلّة)، والدليل على صحة هذه المعلومات، التي نستعرضها هنا لأول مرة، نجده في كتاب سنن أبي داود، وهو دليل قاطع لا يمكن دحضه أبدا، لأنه يكشف لنا الغبار عن هذا اللبس في التسمية.

قال أبو داود السجستاني في (باب في ذكر البصرة)، قال: حدثنا محمد بن المثنى عن إبراهيم بن صالح. قال : إنطلقنا حاجين، فإذا رجل، فقال لنا : إلى جنبكم قرية يقال لها الأُبُلّة. قلنا : نعم. . قال : من يضمن لي منكم أن يصلي لي في مسجد العشار ركعتين، أو ربما أربعا، ويقول هذه لأبي هريرة ؟، فقد سمعت رسول الله (ص)، يقول : ((إن الله يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم))، وقال العلامة المحدث الشيخ أبو الطيب، صاحب (عون المعبود): مسجد العشار مشهور، يتبرك بالصلاة فيه (عون المعبود ج ١١ ص ٤٢٢)، ويتكرر الحديث نفسه في (معجم البلدان)، و(الملاحم والفتن)، وتحدثت مصادر أخرى عن هذا المسجد، الذي يحمل منذ بضعة قرون اسم (مسجد المقام). وهو من المساجد البصرية، التي حافظت على شكلها، وموقعها حتى يومنا هذا. وهذا يعني أن العشّار يمثل جزءا بسيطا من مدينة الأُبُلّة. .

وذكر (ناصر خسرو العلوي) : ان المسافة بين نهر الأُبُلّة ونهر المعقل، هي فرسخ واحد. ولو حسبنا المسافة بين نهر العشار ومدينة المعقل الآن. لوجدنا أنها تقترب من سبع كيلومترات، وتساوي فرسخ واحد. وهذا يعني أن نهر العشار هو خليفة نهر الأُبُلّة.

ثم أن بقايا أطلال القصور القديمة المقامة حصريا على طول إمتداد النهر، والتي لا تزال شاخصة حتى الآن. إضافة إلى وجود محلة السيف (بكسر السين)، والتي يرمز اسمها إلى مستودعات تخزين البضائع المستوردة والمصدرة. هي دليل آخر على وجود ملامح ورواسب تاريخية لنهر الأُبُلّة في حوض هذا النهر العجوز. .

في حين تقدم لنا محلة المشراق، الواقعة على ضفة النهر، دليلا ملموسا على : أن ما يسمى حاليا بنهر العشّار. هو نهر الأُبُلّة نفسه. إذ إن معظم المصادر التاريخية تؤكد على. أن سهل بن عبد الله التستري دفن في محلة المشراق على ضفاف نهر الأُبُلّة. وقالت العرب : ما بين نهر الأُبُلّة ونهر المعقل حُلّة. وهي إشارة إلى تقارب وتوازي نهر الأُبُلّة ونهر المعقل، الذي حفره معقل بن يسار المازني. حيث كان النهران يجريان صوب القبلة لمسافة أربعة فراسخ، ثم يلتقيان ويكوّنان قناة واحدة تسير مسافة فرسخ واحد ناحية الجنوب، وهذه الحقيقة تؤكدها تحركات سرايا صاحب الزنج. وتجحفله في المعقل، في المنطقة الواقعة شمال مدينة الأُبُلّة إستعداد للهجوم على المدينة المحصنة بالأسوار العالية، وباشر بالهجوم من محورين، فشنّ غاراته من ناحية شط عثمان بالرجالة، وبما خف له من سفن من ناحية شط العرب. وأخذت سراياه تضرب إلى ناحية نهر المعقل. وهذه دلالة أكيدة على أن نهر المعقل من الأنهار القريبة لنهر الأُبُلّة. وبما أن نهر العشار هو أقرب الأنهار الكبيرة إلى المعقل. فإن الإستنتاج المنطقي يشجعنا على الإقناع بأن نهر العشار هو نهر الأُبُلّة. وليس غيره. .

بيد أن هذا النهر الجميل الضارب في عمق التاريخ تحول اليوم للأسف الشديد من جاذب سياحي إلى مكب للنفايات، وانقطعت صلته نهائيا بشطّ العرب بعد غلقه عمليا بالسدود والنواظم، وربما ستنقطع صلته بالمياه، ويفقد مجراه، ويختفي نهائيا من خارطة البصرة.

مرافقو الملك فيصل الأول

د. غازي دحام المرسومي

تعد وظيفة المرافق من الوظائف المهمة والحساسة في أي بلاط او مقر رئاسي في الماضي والحاضر، وذلك لقربه من الملك او الرئيس، واطلاعه على اسراره واسهامه في المحافظة على حياته.

وعند قدوم الملك فيصل الى العراق اختير كل من الرئيس (النقيب) صبيح نجيب والملازم اول توفيق الدملوجي مرافقين له وكانا يسميان (الحجاج)، واستمر اطلاق هذه التسمية حتى نهاية عام ١٩٢١، عندما اخذت تطلق عليهم تسمية مرافقي الملك، وعند تتويج فيصل الاول تم تثبيت صبيح نجيب وتوفيق الدملوجي مرافقين، واضيف لهما كل من الرئيس اول (الرائد) شاكر محمود والرئيس (النقيب) تحسين قدري فاصبح عدد مرافقي الملك اربعة ضباط اقدمهم في الرتبة العسكرية الرئيس اول شاكر محمود. كان للمرافقين دائرة مستقلة في البلاط، ولكنهم يرتبطون عن طريق المرافق الاقدم برئيس الديوان الملكي، وكانت هناك اسس معينة يتم وفقها اختيار المرافقين هي:

١- ان الضباط الذين يراد تعيينهم مرافقين للملك تقدم اسماؤهم من قبل رئاسة اركان الجيش الى وزارة الدفاع لكي تعرض على الملك بواسطة وزير الدفاع لينتخب الملك منهم من يشاء على ان يرشح عددا اكبر من العدد المطلوب تعيينه.

٢- لا يجوز ان تكون رتبة المرافقين فوق رتبة رئيس اول، اما رئيس المرافقين لا يجوز ان يكون الا برتبة مقدم فما فوق.

٣- ان مدة خدمة المرافقين يجب ان لا تتجاوز الثلاث سنوات.

٤- يجوز انتخاب الضباط لهذه الخدمة اكثر من مرة بشرط ان يمضي سنتين في الوحدات العسكرية بين الدفعتين.

٥- يجري ترفيع المرافقين اسوة بضباط الجيش.

ولاهمية منصب المرافق، والامتيازات التي يحصل عليها، نجد ان بعض الساسة يتوسطون لدى وزارة الدفاع لادخال اسماء بعض الضباط في القوائم المرشحة من رئاسة الاركان والتي تعرض على الملك لينتخب منها بعض المرافقين ، كما فعل نوري السعيد مثلا عندما كلف جعفر العسكري بادخال اسم الضابط ابراهيم الراوي ضمن قوائم الترشيح المرفوعة الى الملك فيصل.

اما المواصفات المطلوبة في الضباط المراد ترشيحهم لمنصب مرافق فهي:

١- ان يكون من الضباط الذين يمتازون بالكفاءة العسكرية.

٢- ان يكون ذا اخلاق عالية ومعشر طيب.

٣- ان يكون انيقا بملبسه ملما بآداب المجتمع.

٤- اتقان المرشح للغة الانكليزية من المواصفات المرغوبة.

اما المهام التي كان يضطلع بها مرافقو الملك فهي:

١- مرافقة الملك في انشطته الداخلية والخارجية.

٢- الاسهام في الحفاظ على حياة الملك.

٣- مرافقة احد افراد العائلة المالكة عند سفره خارج العراق وبناء على امر من الملك.

٤- تمثيل الملك في بعض المناسبات الاجتماعية للمواطنين وبناء على امر منه.

٥- اشراف المرافق الاقدم على الحرس الملكي.

وكانت واجبات الحرس الملكي هي: حراسة البلاط، وتشمل الباب الرئيسي وغرفة العرش، وهي الغرفة التي يجلس فيها الملك، وحراسة القصر الملكي، وهو مقر سكن الملك واسرته، ومن الواجهات الاخرى للحرس الملكي قيامه بمهام حرس الشرف ولايؤدي التحية الا للملك وحده.

اما الامتيازات التي يتمتع بها المرافقون فهي:

١- مخصصات شهرية خارج رواتبهم العسكرية بمقدار (٧,٥) دينار لرئيس المرافقين وخمسة دنانير للمرافق.

٢- تخصيص سيارة من قبل البلاط لتنقلاتهم.

٣- نصب هاتف في مسكن المرافق على نفقة البلاط.

وكان للمرافقين استقلاليتهم عن وزارة الدفاع الا في مسألة ترقيتهم العسكرية او التحاقهم بالدورات التدريبية المطلوبة من اقرانهم الضباط.

وكان الملك فيصل يرفض بشدة تدخل وزارة الدفاع في شؤون مرافقيه، فعندما قامت رئاسة اركان الجيش في ٢٧ ايلول ١٩٢٣ بمخاطبة المرافق شاكر محمود مباشرة بوصفه اقدم المرافقين رتبة، وطلبت منه ان يتابع الشؤون المتعلقة بالمرافقين ويخابر بشأنها رئاسة الاركان، طلب الملك، بعد ان اطلع على امر هذه المخابرة من رئاسة الديوان الملكي مفاتحة وزارة الدفاع واخبارها بانه ليس من شان أحد ان يصدر اوامره الى معية الملك او يفوضها للنظر في شؤون اي دائرة دون عرض المسألة على الملك والتعرف على امره.

وحدث تطور مهم في ملاك المرافقين في عام ١٩٢٣ ، ففي ٢٣ تشرين الاول من ذلك العام اصدر الملك ارادة ملكية بتعيين الزعيم (العميد) جودت عبد الله رئيسا للمرافقين ومسؤولا عن دائرتهم، وهو اول رئيس مرافقين يعين بشكل رسمي، كما شهدت دائرة المرافقين في الاعوام ١٩٢٤ – ١٩٢٥ جملة من المتغيرات في ملاك ضباطها، ففي ١٨ تشرين الاول ١٩٢٤ عين الرئيس خالد محمود الزهاوي والملازم عبد الله صبري مرافقين للملك بدلا من الرئيس صبيح نجيب والملازم اول توفيق الدملوجي اللذين اعيدا الى الجيش لغرض الحاقهما بدورات عسكرية في انكلترا.

وفي نيسان ١٩٢٥ نقل الملازم ثاني عطا محمود من سرية الحرس الملكي الى دائرة المرافقين، كما احيل الرئيس اول شاكر محمود على التقاعد بناء على طلبه.

وشهدت نهاية عام ١٩٢٥ تقليصا في عدد مرافقي الملك حيث تقرر ان تلغى وظيفة رئيس المرافقين برتبة زعيم ووظيفة مرافق برتبة ملازم اول وفقا لقرار لجنة الميزانية في المجلس النيابي بسبب الاوضاع المالية للبلاد. واصبح الرئيس خالد الزهاوي يشغل منصب رئيس المرافقين.

وبناء على طلب الملك وبعد المصادقة على ميزانية البلاط للسنة المالية ١٩٢٦ – ١٩٢٧ اعيد الزعيم جودت عبد الله رئيسا لمرافقي الملك بدءا من ١٤ حزيران ١٩٢٦.

اما الاعوام ١٩٢٦ – ١٩٢٨ فقد شهدت استقرارا في ملاك المرافقين.

وفي ٢٢ آب ١٩٢٨ اصدر الملك فيصل الاول ارادة ملكية بترفيع رئيس مرافقيه الزعيم جودت عبد الله الى رتبة فريق اول ونظرا لعدم وجود ملاك لهذه الرتبة في ملاك الجيش، فقد طلب مجلس الوزراء من وزارة المالية في ٥ كانون الثاني ١٩٢٩ استحداث ملاك برتبة فريق في الجيش لتنفيذ الارادة الملكية، لكن وزير المالية يوسف غنيمة اعترض على المقترح وقال في جوابه على كتاب مجلس الوزراء، انه ليس من المرغوب فيه احداث رتبة فريق في ملاك الجيش لمجرد ترفيع ضابط اليها، واقترح ان يعالج الموضوع من خلال اعتبار الترفيع موضوع البحث ترفيعا فخريا، هذا فيما له علاقة بملاك ضابط الجيش وان يتم تدارك اي مخصص يراد منحه له علاوة على راتبه الاصلي قبل ترفيعه، من تخصيصات ميزانية الديوان الملكي، التي يمكن وضع الاعتماد اللازم فيها من قبل وزارة المالية على ان لا تتجاوز المخصصات مبلغا يتعدى (٢٥٩) روبية في الشهر.

وجوابا على مقترح وزير المالية هذا ابلغته رئاسة الديوان الملكي في كتاب ارسلته الى مجلس الوزراء بتاريخ ٧ أذار ١٩٢٩ بان الملك يستغرب كثيرا، ان هذه القضيةما تزال موضوع مكاتبات مع انه يجب ان تعد منتهية من تاريخ صدور الارادة الملكية بالترفيع. وان هذا الترفيع قد جرى وفق الاصول واستحقاق الموما اليه لهذا الترفيع لقيامه بواجبه العسكري بصفته رئيسا للمرافقين، وان تأجيل هذه القضية ليس له مسوغ في نظر الملك وهو لا يحب ان يسمح بان هناك مشكلة في هذا الموضوع تتطلب الحل. واستنادا الى هذا الكتاب الذي احيل نصه الى وزارة المالية، طلبت الوزارة من مجلس الوزراء ان يصدر المجلس قرارا يقضي باستحداث رتبة فريق في ملاك الجيش بدءا من ايلول ١٩٢٨ من اجل ان يصبح الترفيع قانونيا، الا ان رئيس الوزراء توفيق السويدي اعترض على هذا المقترح وابلغ وزارة المالية بان الارادة الملكية الصادرة بهذا الشأن كافية لتأييد الترفيع، وطلب وضع مخصصات الرتبة الجديدة في ميزانية وزارة الدفاع.

وشهدت الاعوام ١٩٢٩ – ١٩٣٢ جملة من المتغيرات في ملاك المرافقين، ففي ١١ شباط ١٩٢٩ عين الرئيس جميل رمزي محمد آمر سرية الحرس الملكي مرافقا بدلا من المرافق عبد الله صبري. كما عين شاكر محمود الوادي بدلا من خالد الزهاوي الذي صدر امر تعيينه آمرا للمدرسة العسكرية اعتبارا من ٣١ ايار ١٩٣٠.

وفي ١٢ آذار ١٩٣١ اعفي جودت عبد الله رئيس المرافقين من وظيفته لاحالته على التقاعد، كما عين الملازم اول عبد الوهاب عبد اللطيف مرافقا للملك بدلا من تحسين قدري الذي شغل منصب رئيس التشريفات الملكية اعتبارا من كانون الاول ١٩٣١.

وعلى اثر تخرج الامير غازي من المدرسة العسكرية ببغداد في تموز ١٩٣٢، التحق في ١٧ آب ١٩٣٢ بدائرة المرافقين، مرافقا خاصا لوالده، دون اية امتيازات عن بقية المرافقين، بل انه كان يدخل في مؤخرة المرافقين للسلام على الملك في المناسبات الرسمية والاعياد مراعيا الاقدمية في الرتب العسكرية.

وفي تموز عام ١٩٣٣ شهدت دائرة المرافقين التحاق آخر المرافقين الجدد في عهد الملك فيصل الاول وهو الرئيس محمود سلمان بدلا من الرئيس جميل رمزي.

ان عملية تغيير مرافقي الملك كانت تتم لاعتبارات عدة هي:

١- ترفيع الضابط المرافق، فتكون رتبته الجديدة خارج ملاك المرافقين، اذ حددت رتب المرافقين بان لا تتجاوز رتبة رئيس اول (رائد) ولا يشمل ذلك رئيس المرافقين.

٢- التحاق المرافق بدورة عسكرية اسوة ببقية الضباط.

٣- الاحالة على التقاعد.

٣- تكليف المرافق بوظيفة عسكرية او مدنية.

عن رسالة (البلاط الملكي ودوره السياسي)

ذكريات عن والدي

د. رباب الكاظمي

رباب الكاظمي

× هل تأثر والدك بالحياة في مصر؟

– ماذا تعني بتأثره بالحياة في مصر؟ وهل تقصد تأثير البيئة على شعره؟ فاذا كان المقصود انه حاد عن البداوة الى الحضارة فلا، وما قاله في مصر من شعر كثير يثبت صحة ذلك.

اما تأثير ذلك في حياته الخاصة فنعم – كان بيتنا في مصر كأي بيت مصري وكان ابي يتكلم اللهجة المصرية باتقان تام ولكن عندما يتلفظ بكلمة اربعة عشر او سبعة عشر كان يقول اربعطش او سبعطش بدلا من ان يقول اربعتاشر او سبعتاشر.

× هل تتذكرين بان والدك كانت له نية للمجيء الى العراق؟

– لا اعتقد بان صحته كانت تسمح بذلك اولا، وثانيا ان معارضته للسياسة الخارجية التي كانت متبعة في ذلك الوقت كانت ستقف حائلا دون رجوعه وتعاونه مع القائمين بالامر، ويظهر مما لدي من رسائل بعض المسؤولين العراقيين انذاك انهم عرضوا عليه مناصب عالية، ولا ادري ماذا كان جوابه عليها – وقد حدثنا الاستاذ ساطع الحصري بانه كان احد من كلف بالتوسط لارجاع الكاظمي الى العراق وقد عرضت عليه عروض مختلفة.

× من كان يتصل بوالدك من الادباء والشعراء والمفكرين في مصر؟

– كان والدي على اتصال وثيق في اوائل ايامه بمصر، بعدة شخصيات ادبية وسياسية اشهرها الشيخ محمد عبده الذي استضافه في منزله مدة من الزمن والشيخ عبد العزيز جاويش ومحمود سامي البارودي والشيخ علي اليوسف صاحب المؤيد وحافظ ابراهيم شاعر النيل ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي والسيد رشيد رضا صاحب المنار وعبد الحليم المصري وسليم سركيس وغيرهم، فلما اختطفهم الموت الواحد تلو الاخر شعر أبي بألم الوحدة، وكان يروي عنهم الشيء الكثير – وحين بلغت العمر ما سمح لي بملاحظة ما يجري حولي من أمور كنت ارى رجالا من مختلف البلدان العربية يزورون والدي وهو يرحب بهم، وكان ابي عندما يزورنا احد من العراق تتحول لهجته المصرية الى لهجة عراقية بحتة.

وفي اواخر سني حياة ابي قل عدد الزائرين ولم اعد ارى الا القليل منهم امثال الشيخ مصطفى عبد الرازق ومحمود فهمي النقراشي ومكرم عبيد .

× هل تتذكرين من العراقيين كان يتردد على والدك؟

– المرحوم جعفر باشا العسكري.. ولا انسى تلك الليلة من ليالي كانون الثاني وكان البرد فيها قارصا، استيقظت على سماع صوت اعرفه يقول – لابد لي من رؤيتها وتقبيلها قبل سفري حتى ولو كانت نائمة.. فهرولت حافية القدمين بملابس نومي وكنت وقتها في السادسة من عمري، فاتحة ذراعي ورميت بجسمي الصغير بين ذراعي جعفر العسكري وكان يرتدي بزة عسكرية وهو قادم من العراق في طريقه الى لندن بالطائرة – فاعطاني هداياي التي عودني عليها – بعض اللعب وبرتقالة كبيرة الحجم وكنت اعرف (عمي جعفر) واحبه كثيرا.

ولايزال اسم مولود مخلص باشا عالقا بذهني، فقد كان يزورنا عند مروره بمصر.

اما الدكتور مهدي البصير فقد كان مجيئه الى مصر على ما اتذكر قبل وفاة والدي بعامين وانا التي كنت ارحب به عند زياراته المتواصلة طوال اقامته بالقاهرة وقبل ذهابه الى باريس.

وقد كان بعض الطلبة العراقيين يقومون بزيارة ابي من وقت لآخر وكان اكثرهم ترددا علينا السيد عزي الدين آل ياسين، الذي احبه ابي وتمنى له مستقبلا باسما في عالم الادب.

ومن الحوادث اللطيفة التي اتذكرها كانت زيارة وفد من الكشافة العراقية لبيتنا بمصر الجديدة، فقد كانت الساعة الثالثة وابي في سريره يحاول النوم، كنت انا اقوم ببعض الواجبات المدرسية، وكان الجو السياسي بالقاهرة متوترا اذ كان الدستور معطلا والبرلمان مغلقا والمظاهرات تجوب شوارع القاهرة هاتفة لحزب الوفد ومطالبة بالانتخابات الحرة. ففي تلك الساعة اذا بي اسمع صوت هدير قوي يهز الحي فتوجهت الى اقرب نافذة تطل على الساحة امام دارنا فرأيت اقل من مائة شاب يلبسون ملابس كاكية اللون وعلى رؤوسهم الخوذات يقودهم شاب منهم يهتفون يعيش شاعر العرب يعيش يعيش يعيش.. فتوجهت الى والدي وقبل ان اتفوه بادرني بقوله دعيهم يفتحون ابواب الحديقة فهؤلاء شباب العراق، ولما دخلوا الحديقة صعد قائدهم وكان هو السيد عبد الكريم عسيران، رحمه الله وقبل ابي وقال ان شباب العراق متعطش لسماع صوتك واما رؤيتك ومصافحتك فهذا كل ما يتمنى ياسيدي، فنزل ابي الى الحديقة وصافحهم واحدا واحدا ثم القى عليهم بعض الكلمات سروا بها كثيرا. ولست انسى اثر تلك الزيارة على ابي اذ ان حالته المرضية تحسنت وشهيته الى الطعام رجعت طبيعية الى حد كبير فكنت اقول في نفسي اللهم ارزقنا بمن يأتي من العراق ولو في كل شهر مرة.

× من كان من اقارب والدك معه في مصر؟

عمي الشيخ محمد حسين الكاظمي وهو يكبر ابي ببضع سنوات وقد جاء الى مصر بعد مجيء والدي بنحو عشر سنين وتوفى بعده بسنة تقريباً.

وفي سنة ١٩١٣ مر عمي احمد الكاظمي بمصر، وهو الاخ الاصغر لوالدي وبقي فيها سنة او تزيد قليلا.

× هل كانا ينظمان الشعر ايضا؟

– نعم اولهما كان استاذا لابي وقال من الشعر الكثير – ومن طرائف ما يرويه الرواة ان اول قصيدة نظمها ابي نسبت الى اخيه محمد حسين، فكان فخر ابي بذلك كبيرا وقال لاحد خلصائه هذه باكورة نظمي ويرفعها القوم الى مقدرة اخي في النظم – اني لفخور بذلك وايم الحق.

اما الاخ الاصغر فقد تتلمذ على ابي ونظم شعرا رقيقا مسبوكا، وقد عثرت مؤخرا على قصيدة له في صحيفة المؤيد عام ١٩١٣ يحيي فيها مصر.

× هل هناك اوجه شبه بين والدك وعمك؟

– ان ابي وعمي يبدوان وكانهما توأمان وكان بعض المشاهدين يخلط بينهما. فمن النوادر الطريفة ان الشاعر حافظ ابراهيم زرا ابي مرة وقال له معاتبا لقد حييتك بالامس احسن تحية كما هي عادتي دائما عندما اراك فلماذا تجاهلتني ذلك التجاهل يا استاذ فماذا فعلت حتى انال منك هذا الاعراض؟ فضحك ابي.. وفسر له الامر، وكان الاستاذ حافظ ابراهيم ضعيف النظر على ما يعرفه اصدقاؤه عنه.

× قام والدك ببعض السفرات عندما كانت صحته تسمح له بذلك الى فلسطين وشرقي الاردن فما نوع الجواز (الباسبورت) الذي كان يضمله؟

– كان يحمل جواز مرور وليس جواز سفر ولم يقبل ان يحمل جواز سفر اية دولة عربية مع انه كان بامكانه ذلك..

× من اعتدى على والدك بالرصاص عندما كان بالعراق؟

– لم يحدثني ابي بالتفصيل عمن ولماذا اصيب بالرصاص وانما ذكر لي ان مرور السيد جمال الدين الافغاني بالعراق واتصاله به لفت نظر السلطات الحاكمة انذاك اليه ووجدته غير جدير بالحياة فارادت التخلص منه بالغدر.. وعندما جئت الى العراق لاول مرة عام ١٩٣٥ بعد وفاة ابي حدثني خاله الشيخ عبد الرزاق البير عن تلك الحادثة.

عن مجلة الكتاب عام 1964

من ظرفاء بغداد

د. جليل العطية

هكذا عرفت حسين الفلفلي

بعث الاستاذ الفاضل الدكتور جليل العطية من مقر اقامته في باريس باضافة قيمة من المقالات عن من الشخصيات العراقية مزج فيها بين الذكريات والتعريف فله وافر الشكر والتقدير ..

ذاكرة عراقية

اشتهرت بغداد بالظرف والظرافة منذ انشئت بامر ابي جعفر المنصور سنة ١٤٥ للهجرة. وتحفل كتب التراث العربي بظرائف كثيرة عن رواد النكتة والاجوبة المفحمة والتعليقات الساخرة ممن عاشوا فيها.

وفي اواخر العهد العثماني برز عبد الله الخياط وفي النصف الاول من القرن العشرين تالق عبود الكرخي ونوري ثابت الشهير بحبزبوز.

وفي النصف الثاني لمع عدد من الظرفاء ممن لم تسجل اخبارهم ونوادرهم بينهم احد اصحاب المكتبات.

كان (حسين محمود الفلفلي) صاحب مكتبة الزوراء في سوق السراي ببغداد من اظرف البغاددة وابرعهم نكتة والذعهم لساناً واطيبهم قلبا، واصعبهم تعاملا واكثرهم شراسة واشدهم بخلا.

ولو بعث الجاحظ لحضة بنصل متميز من كتابه الشهير البخلاء ولوان ابا حيان التوحيدي كتب له ان يحيا في القرن العشرين لوضع عنه كتابا كاملا!

تأسست مكتبة الزوراء سنة ١٩٣٠ ولاتزال قائمة الى يومنا هذا بعد وفاة صاحبها في اوائل الثمانين، وتحتفظ هذه المكتبة بقائمة رسمية متواضعة ، بدائية، تمنح لمن يطلبها موشحة بتعريف نفسها بانها خاصة (لبيع الكتب القديمة والحديثة وعلى اختلاف انواعها مع تجليد الكتب والسجلات).

تنتهي هذه القائمة – الصغيرة الحجم بعبارة : الخلط والسهو مرجوع للطرفين!

كانت المكتبة مثالا للفوضى الكتب والمطبوات فيها مدسة بلا تنظيم او ترتيب، وكان الغبار يعلوها وفيها مروحة كهربائية سقفية، الا انها معطلة غالبا.

ولا اذكر انني صادفتها تعمل، رغم الغيظ الخانق، فلقد كان صاحبها يستعمل مروحة يدوية، بدائية، ويمسح العرق المتصبب من جبينه بين دقيقة واخرى، واثناء ذلك يعمل بكل همة، ويعتمد على ذاكرته المتألقة في معرفة موقع الكتاب المطلوب، ويستخدم عصا خاصة في التقاط ما يطلب منه بسرعة مدهشة، وعندما كان يلاحظ انبهار احد باكداس الكتب والمطبوعات في مكتبته – كان يردد هذا البيت:

اجعلوا ان مت يوما كفني
ورق الكتب وقبري المكتبة

وعلى الرغم من ان صاحب المكتبة منح الكتب والمطبوعات المساحة الاكبر والاهم الا انه وضع كرسيا في زاوية لايعرفها سواه، وهذا الكرسي مخصص لبعض الضيوف المحظوظين، المهمين ممن يستفيد منهم، وعندما يفعل ذلك فانه مضطر لتقديم قدح شاي او حامض لهذا الضيف المعتبر كما يسميه.

وشكا لي – داود – صاحب مقهى سيار في احدى زوايا سوق السراي – ان ابا علي – هو اقل اصحاب السوق احتساء للشاي، اما المرطبات فذكر انه احتسى شيئا قليلا منها.. مرة كل خمس سنوات – مثلا!

ذلك ان الفلفلي المحني مرة ماراً في السوق، فناداني صائحا.. وعندما لبيت نداءه، قدم لي "كرسي الضيوف" قائلا بلهجة جادة..

– تعال، انتهز هذه الفرصة فلقد اصبت بنوبة كرم!!

واثمرت نوبة الكرم هذه عن قدح شاي، لا اكثر!!

ولمحني مرة اتفحص سرواله الذي يلازمه منذ سنوات طويلة، دون ان يحاول اقتناء بديل له رغم ثرائه قال:

– اتدري ممن اشتريت هذا السروال؟

كتمت ضحكة كبيرة فاجاب بنفسه:

– من نوح – عليه السلام!

جرب الرجل نشر الكتب لكنه هجر ذلك، بعد ان خسر مبالغ كثيرة – وفشل في مزاحمة دور النشر الاخرى التي كانت تبدي التسهيلات والمرونة في التعامل مع المؤلفين وفي توزيع الكتب ومن هذه الدور: مكتبة المثنى، اما الكتب التي نشرها فكانت منوعة منها ما كان يؤلفه اساتذة القانون او يجمعه بعض المحامين للقوانين والامور القضائية، وبينها مجموعة من الكتب المدرسية او الفنية.

سألته يوما عن اهم الكتب التي نشرها – وحققت نجاحا وارباحا فقال:

– اغاني حضيري ابو عزيز..

كانت هذه الاغاني قد حققت انتشار واسعا بدءاً من سنوات الاربعين، وقد عمد صاحبها نشر مجموعات من اغانيه في كتيبات مزينة بصورة حدثني – ابو علي – ان "ابا عزيز" كان من اكرم الناس، فقد كان يلبي طلبات الناس التي ترده الى اذاعة بغداد من داخل العراق وخارجه، وروى لي ان مطرب الريف الشهير كان يسر كثيرا برسائل الاعجاب التي ترد اليه من خارج العراق، وقد اطلعه مرة على رسائل وصلت اليه من عدة بلدان اوربية وشرقية بينها رسالة من مستشرق هولندي واخرى من الفنان نعيم بصري (ت ١٩٧١) – رئيس القسم الفني في اذاعة لندن – وهو شقيق الاستاذ مير بصري.

وذكر لي انه اثناء طبع احد كتيبات (حضيري) فوجئ بزيارة المغني له في داره طالبا منه وقف الطبع راجيا اضافة اغنية (عاين يا دكتور) الى الكتاب!.

ارتبط الفلفلي بعلاقات طيبة مع المع الشخصيات العراقية من رجال الادب والفكر والقانون والفن وهو يحتفظ بذكريات وانطباعات عن الكثيرين.

كان من زبائنيه ورواد مكتبته معروف الرصافي ومحمد رضا الشبيبي وتوفيق وهبي وعباس العزاوي ويوسف عز الدين ومهدي مقلد واحمد حامد الصراف ومحمد القبانجي وعفيفة اسكندر.

كان الرصافي شديد العناية بالحصول على الكتب الممنوعة ويحرص على الظرف بالكتب التي تنتقد نظام الحكم في العراق وتصدر في بيروت ودمشق، وكان يدهش للكتب التي يؤلفها انكليز او غريبون وتتناول العراق وتصدر مترجمة بالعربية ويعجب لضيق صدور الحكام العراقيين، ومنعهم تلك الكتب وحرمانهم ابناء وطنهم من الاطلاع على الرأي الاخر.

وكان احد شيوخ العمارة مهووسا باقتناء اقصى ما يستطيع من الكتب الجنسية او التي لها صلة بالجنس، وقد اقتنى من الفلفلي عدة نسخ من كتاب محاضرات الادباء للراغب الاصبهاني، اقتطع الفصول التي تهمه ورمى بقية الكتاب في سلة المهملات، والطريف انه كان يهدي مجموعة من اصدقائه اشياء مما كان يقتنيه ويحثهم على مطالعتها.

وكان احمد حامد الطراف – المحامي والمجمعي المعروف – مهتما باقتناء نمط خاص من الكتب والمطبوعات الممنوعة وهو الخاص بالطوائف والاقليات الدينية او الاثنية كالبهائية والماسونية وما شابهها.

وكان الشيخ محمد رضا الشبيبي شديد الولع باقتناء المخطوطات وكتب الفلسفة والتاريخ الاسلامي.

اما الدكتور يوسف عز الدين – الاكاديمي والمجمعي البارز – فكان شديد الكلف بالظفر بالكتب التي تتناول العراق في

العصور المتأخرة – خاصة العصر العثماني.
توفيق وهبي – الوزير والاكاديمي الشهير – كان من هواة جمع الكتب العربية والشرقية المطبوعة في اوروبا خلال القرنين الثامن عشر وما بعده، وكان سخيا خاصة عندما يتعلق الامر بكتب تتناول الاكراد وتاريخهم مما يصدر بمختلف اللغات في اوروبا او في الاتحاد السوفيتي السابق، وكان مهدي مقلد (المحامي والشاعر) يهوى اقتناء الكتب التي تحمل تواقيع مؤلفيها مع عبارات الاهداء!
وللشيخ امجد الزهاوي – مفتي العراق في عصره – تقاليد غريبة في اقتناء الكتب، فلقد كان يطبق الشروط الفقهية في الشراء، وعندما يضطر لدخول المكتبة كان يخلع حذاءه خوفا من مس اوراق فيها آيات قرآنية او ما اشبه ويعد الدكتور علي الوردي – احد ابز رواد مكتبة الزوراء، ويزعم الفلفلي انه لم يكن يستفيد ماديا من عالم الاجتماع البارز، فلقد كان هم هذا العالم اقتناء كراسات ومطبوعات لاقيمة مادية لها، لكنه يفيد منها في مؤلفاته الاجتماعية التي كانت تلقى رواجا كبيرا.
ومنهم صادق الملائكة – الاديب المعروف ويذكر انه اوصاه خيرا بابنته (نازك) وقد زارته فعلا ويذكر انها كانت في حدود العشرين من العمر وقد اقتنت عدة كتب تخص الموسيقى الغربية وحياة بتهوفن وغيره.
لم يدخل الفلفلي المدارس الحديثة، وغير انه امتلك ثقافة طيبة من خلال مطالعة الكتب والمطبوعات وهو في هذه الحالة يعتمد على نصائح اصدقائه من رواد المكتبة في اختيار ما يطالع، وكانت له طاقة فنية هائلة ، خاصة في تقليد الاخرين، وثمة شخصيات بغدادية كان يبدع في تقاليد كلامها ومحاكاتها وكان (محمود حلمي) صاحب المكتبة العصرية في مقدمة ضحاياه!
كان – ابو علي – من ابرع اهل بغداد في العفاط!
والعفط، كلمة فصيحة معناها اخراج الصوت بالشفتين.
يتوارث عوام بغداد هذه الحركة في السخرية والطنز منذ العصر العباسي، ومن يقرأ مؤلفات القاضي التنوخي وابي حيان التوحيدي يلحظ شدة اهتمام الناس بها في القرن الرابع للهجرة – العاشر الميلادي وقد تقلصت عناية البغاددة بهذا اللون من السخرية والعبث في العصر الحديث، وضمن عبود الشالجي المحامي (ت ١٩٩٦) سفره المهم (موسوعة الكنايات البغدادية) – بيروت ١٩٨٢ طرائف كثيرة عنها.
كان ابو علي يتباهي باجادته – بل يراهن انه افضل من يجيد العفاط في بغداد، ولطالما كان صوته يهز سوق السراي في التعرض لهذا وذاك وعندما كان يفعل ذلك يتراكض اصحاب المحلات او الناس لمعرفة المقصود بالسخرية.
حدثني "ابو علي حسين الفلفلي" ان محمد عبد الوهاب المطرب والموسيقار الشهير (ت١٩٩١) هرب من بغداد بسبب عفاط بعضهم سخرية منه!
كان موسيقار الشرق قد زار بغداد في ربيع سنة ١٩٣٢ تصاحبه فرقة موسيقية كبيرة على امل ان يقدم حفلات كثيرة للمعجبين بفنه من العراقيين وفي اولى الحفلات التي اقامها على مسرح احدى دور السينما في بغداد وسط ضجة اعلامية، مشرع بتقديم احدى اغنياته.
كان عبد الوهاب قد اعتاد تكرار عباراة – ياليل – لتسخين الجمهور في مستهل الحفلة ، لكنه بالغ في ذلك مما اثار استياء البعض وفوجئ الجميع بقيام احد ظرفاء بغداد من المتواجدين في نهاية الصالة بعفطة مدوية، لم يكترث لها المطرب بل واصل ترداد الغناء بنفس الطريقة، فما كان من البغدادي الا اطلاقها ثانية ثم ثالثة.. كانت النتيجة ان الغى عبد الوهاب حفلاته في بغداد وقطع رحلته وحجز عائدا الى القاهرة في اليوم التالي.

الرياضة في النجف ايام زمان

رفعت مرهون الصفار

العقل السليم في الجسم السليم) مقولة لا احد ان ينكرها او يقلل من شأنها وقيمتها فهي على مر العهود تعني بناء عقول واجسام متفتحة للحياة مؤمنة بان الرياضة جزء مكمل للحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية والادبية.. فحين يكون الجسم سليما يمكن لصاحبه ان ينطلق الى نواح اخرى في هذه الحياة ويبرع فيها ويطور نفسه في ما تقتضيه الحالة القائمة انذاك.
ويخطر ببالي ان اتطرق الى احدى المناحي الرياضية المهمة في فترة الثلاثينات والاربعينات في القرن الماضي في النجف الاشرف حيث واكبتها وانا صغيرا وممارستها بعد ذلك، ولما تركت في نفسي وعقلي من تعلق وايمان باهميتها فقد وجدت لزاما ان اوجز ما بقي في ذاكرتي ن تلكم الايام الحلوة لعل القارئ الكريم يجد فيها شيئا من الفائدة الادبية والثقافية.
فلعدم وجود وسائل تسلية للشباب في ذلك الوقت فقد اتجهوا للقراءة وممارسة الرياضة البدنية (ولما كان المجتمع النجفي حينذاك مجتمعا دينيا يتجه نحو العلم والثقافة ويعد ممارسة الرياضة لهوا دنيويا لافائدة منه وانما هو مضيعة للوقت) فقد بدئ بممارسة بناء الاجسام والمصارعة في (قاعة الزور خانة)
والتي انجبت مصارعين اشداء وفي مقدمتهم بطل المصارعة في حينه البطل المصارع (حسين تاجر النجفي) الذي اقام حفلات للمصارعة والقوة في كثير من مدن العراق اضافة الى حفلاته الكثيرة والمتميزة في مدينة النجف الاشرف. اما في المدارس فقد مارس الطلاب جميع انواع الرياضة الفردية والجماعية ككرة االقدم –الطائرة–المنضدة–والملاكمة–والعاب الساحة والميدان (العاب القوى) والجمناستك (لم يكن في ذلك الوقت اندية رياضية).
ومن ثانوية النجف برز في الساحة الرياضية ابطال لامعون في جميع فروع الرياضة ففي العاب القوى سجل بدوي رقما قياسيا عراقيا بركض ٤٠٠م وراضي جدوع رقما قياسيا في رمي الرمح.
وفي االثلاثينات والاربعينات ظهر جيل رياضي من الطلاب وعلى سبيل المثال لا الحصر (بدوي عل–محمد مرهون–كاظم محسن خلف–هادي حسين–رضا عبد ننه–علي كامل–وغيرهم كثيرون) تلاهم جيل اخر (مصطفى مرهون–عزيز عبود مرزة–سعيد كمونة– جليل الحبوبي–هاشم الحبوبي) وغيرهم.
تبعهم جيل اخر تمثل بـ(عبد النبي ابراهيم–رفعت مرهون–فهمي صبري–القيماقجي–عباس حسام الدين–مجيد سعيد غائب– راضي جدوع–رؤوف عبود مرزة) وغيرهم من الذين مثلوا النجف بالفعاليات الرياضية المختلفة...
وحري بنا ان نذكر مدرسي التربية الرياضية في ثانوية النجف انذاك كانوا من خريجي دار المعلمين العالية/ قسم التربية الرياضية امثال الاستاذ صادق الحق وجليل مطر كما اشتهر الاستاذ احمد حسون مدرسا نشطا في حقل التربية الرياضية؟؟؟؟
كان في المدرسة الثانوية قاعة تشبه القاعة الموجودة في الاعدادية المركزية في بغداد يمارس فيها الطلبة العاب الجمناستك (الجمباز) تحتوي على الحصان الخشبي والعقلة وحبال التسلق واخشاب التسلق المعلقة على الحائط.
كما كانت تجري فيها تدريبات الملاكمة التي ادخلها الاستاذ جليل مطر والذي اصبح بعد ذلك مدرسا للتربية الرياضية للملك فيصل الثاني.
وفيما عدا بغداد كانت ثانوية النجف هي الوحيدة التي تمارس فيها الملاكمة في المدارس. اما لعبه الهوكي فكانت تمارس في الملعب المخصص لكرة القدم والعاب الساحة والميدان (العاب القوى) والتي هي كالملاكمة كانت ثانوية النجف قد انفردت بها عدا بغداد.
لم يكن الرياضي يلقى اي دعم او تشجيع (حتى من اهله) بل كان يعتمد ذاتيا على امكانياته فكانت الملابس الرياضية تجهز من قبله من ماله الخاص (ان وجد) لذا كان اغلب الرياضيين يمارسونها وهم حفاة وبالخصوص اثناء الحرب العالمية الثانية لندرتها وغلاء سعرها وفي العام الدراسي ٤٢–٤٣
جمع منا الاستاذ صادق الحق ممن يتمكن من الطلاب (٢٥٠) فلسا وكان هذا المبلغ (مبلغا لايستهان به في حينه) وجاء الى بغداد–سوق السراجين) وصنع لنا احذية جلدية خفيفة خيطت يدويا. كانت جميع الخدمات الرياضية يقوم بهاالرياضيون انفسهم بروح رياضية عالية مما يدل على انهم كانوا يمارسون الرياضة حبا بها وليس كما هو الحال الان الهدف هو الربح المادي. اما الرياضيون القدامي الذين تركوا الدراسة لاسباب مختلفة فقد اسسوا فرقا للقدم والسلة والطائرة وكانت تجري بيننا مباراة ودية.
واخيرا هذا ما اسعفتني بهذا ذاكرة الايام رغم مرور ما يقارب السبعين عاما كما وارجو ممن لم يرد اسمه ان يعذرني ومن لديه تعقيب او اضافة ارجو ان يبديه اتماما للفائدة والتاريخ.

من صحافة ايام زمان..

حسين شهيد المالكي

من المجلات العراقية التي صدرت في بغداد في النصف الاول من القرن الماضي هي مجلة قرندل لصاحبها ورئيس تحريرها صادق الازدي ومديرها المسؤول المحامي مهدي الصفار وهي من المجلات الفكاهية السياسية والتي تميزت بالفكاهة والجرأة وقوة التعبير عن هموم الشعب وتطلعاته نحو المستقبل باسلوب فكاهي ناقد وهادف وقد نشرت في عددها (١٥) لسنة ١٩٤٧ مقالا تحت عنوان تجدد المعارك بين البغداديين وباعة الثلج واصحاب المخابز والافران يفتحون الجبهة الثانية وذكر مراسل مجلة قرندل ان المعارك بين البغداديين وباعة الثلج ستجدد بعد حلول فصل الصيف مباشرة وقد استبعدنا لان امانة العاصمة اكدت انها اخذت جميع التدابير التي تكفل اقامة السلام الدائم ومنها توفير الثلج للاهالي وتحديد اسعاره ويبدو انها لم تفعل المحذور. وفي ساعة متأخرة من ليلة امس الاول ذكر المراسل ان قوة بغدادية في رأس القرية استطاعت ان تشق طريقها الى مركز حصين من مراكز بيع الثلج وبعد قتال عنيف انسحبت القوة الهاجمة حاملة معها الاسلاب والغنائم وفي خان لاوند تمكنت قوة من التسلل الى مركز امامي من مراكز باعة الثلج في هذه المنطقة وقد استطاع حراسه ان يخفوا انفسهم وذخائرهم الثلجية عن انظار العدو واستطيع ان اوكد ان البغداديين لم يستطيعوا في النهاية غير الاذعان لمطالبهم وخاصة عند حلول الشهر القادم وفي باب الشيخ تم فتح الجبهة الثانية في معركة بغداد وقد فتحها اصحاب الافران والمخابز الذين استطاعوا بحيلة حربية بارعة ان يمنعوا الامدادات عن البغداديين الذين صاروا يهاجمون الافران والمخابز للحصول على حاجاتهم وفي الاعظمية تحدث المراسل مع قائد من قواد الجبهة الثانية فقال انهم لم يقتحموا للحصول على مغنم جديد كما يشيع العدو وانما اضطروا الى سلوك هذا السبيل بسبب الضغط الواقع عليها من امبراطورية العاصمة العراقية فهي التي قللت حصصهم من التموين فحدث ما حدث وفي الكرادة الشرقية جرت هجمات موفقة من جموع المستهلكين على احد الافران اسفرت عن اندحار المدافعين عن الفرن وبعد مضي دقائق كان الفرن قد فرغ مما فيه من طعام واصيب باضرار فادحة من جراء عنف الهجوم الذي يتوقعون حدوث امثاله في وقت قريب اذا استمر التوتر الراهن بين المستهلكين واصحاب المخابز والافران..

ثورة سوق الشيوخ ضد الحكومة سنة 1935

خالد خلف داخل
باحث ومؤرخ

تحيط بمنطقة سوق الشيوخ بالناصرية قبائل مختلفة اهمها بني خيكان وحجام والنواشي وآل شمسي وآل حسن وبني اسعيد والجويبر عند احتلال سوق الشيوخ من قبل الانكليز في 6/تموز/1915 جعلوا واسطة بينهم وبين دافعي الضرائب لجمع الرسم الاميري وقرروا للوسطاء نسبا فيما يجبونه من واردات التمورفكانت نسبة الخمس حق الحكومة على الفلاحين استمر هذا الحال سنوات عديدة وتوسعت توسعا كان مبعث شكاوى مختلفة حتى آل الامر ان يطالب الفلاحون السلطات المسؤولة بلزوم الغاء هذا الخمس الذي تسمى فيما بعد بالسركلة اذ كثيرا ماصادف ان حاصل التمر يكون واطئا غير كاف لايفاء ضريبة الحكومة اذ كان سعر التمر قليلا بحيث لابد (الخمس حق الحكومة) حتى انها شعرت بتطور المطالبة وسمعت بتنظيم الاجتماعات ضدها وقد حصل هذا بعد اعلان الحكومة العراقية سنة 1921.

اما رؤساء العشائر المذكورة لما رأوا تذمر الفلاحين رفعوا شكواهم الى الحكومة وذلك لكسب ود الفلاحين واستغلالهم من اجل تحقيق اغراض ذاتية فقد جمعوا اولئك الشيوخ عشائرهم وتنازلوا لهم برفع (السركلة) عنهم على شرط يأتمرون بأمرهم وينقادون الى ارائهم فوافقت القبائل على ذلك وبدأت (تهوس) ضد الحكومة وكان في نفس الوقت من عام ١٩٣٥ قيام ثورة فلاحية في منطقة الرميثة وقد وصلت نسخ من الرميثة الى سوق الشيوخ تحثهم على النهوض والثورة ضد الحكومة وبعد اطلاع رؤساء القبائل في سوق الشيوخ على تلك النسخ اعتقلوا .

ان النهضة العشائرية بالرميثة ضد الحكومة هو بتأييد من المرجعية الدينية بالنجف الاشرف فتوجه جمع من رؤساء عشائر سوق الشيوخ الى النجف الاشرف وزاروا الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في داره وكان وقته مرجعا كبيرا واطلعوه على النسخ التي وردت اليهم من رؤساء عشائر الرميثة وقد التقوا ايضا ببعض رؤساء عشائر الحلة والديوانية وكربلاء وكانوا من الذين التقوا بهم الشيخ رابح العطية وداخل الشعلان والحاج مرزوك العواد وحسين المكوطر وشعلان الظاهر كما اجتمع جميع رؤساء القبائل المتواجدة في النجف الاشرف في دار سعد صالح جوير وتحالفوا على القيام ضد الحكومة وكان يرأسها انذاك ياسين الهاشمي وان ادى ذلك الى اراقة الدماء ثم ذهبوا الى كربلاء بعدها الى بغداد فاتصلوا برجال المعارضة ثم رجعوا الى قبائلهم ورجع شيوخ قبائل سوق الشيوخ الى موطنهم وبدأوا يجمعون جموعهم لمنازلة الحكومة وكانت اول حركة قاموا بها ان تقدم عدد من افراد عشيرة بني خيكان الى ناحية (العكيكة) يوم ٩/ايار/١٩٣٥ فحاصروها واشتبكوا في معركة مع حاميتها اسفرت عن سقوط الناحية بايدي عشيرة بني خيكان فهدموا مباني الحكومة واحرقوا سجلاتها ونهبوا اثاثها وجردوا رجال الحامية من سلاحهم واسروا موظفيها ثم تقدموا الى قصبة سوق الشيوخ فكانوا يستولون على المخافر بسهولة بحيث اكتسحوا النفوذ الحكومي من الجبايش الى مركز القضاء بثلاثة ايام اضطربت الحكومة لهول هذه الحركة وعززت حامية سوق الشيوخ بالسلاح والعتاد بحيث اصبحت القوة مكونة من (٤٥٠) شرطيا وثلاثة عشر رشاشا ثم ظهر ان العتاد لايكفي فشرعت الطائرات في تموين الحامية من الجو لكن معظم الصناديق تقع في ايدي الثوار من عشيرة بني خيكان فيستعمل ضد الحكومةيذكر المرحوم الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني (رحمه الله) في كتابه تاريخ الوزارات العراقية فيقول ان رئيس الوزراء ياسين الهاشمي طلب من السفير البريطاني ان تساعد القوة الجوية البريطانية في العراق الحكومة العراقية بأرهاب القبائل الثائرة وبتموين الحامية المحاصرة فرفض السفير البريطاني اجابة الطلب على اساس ان الحركة داخلية ولا تعرض المصالح البريطانية للخطر عندها شرعت القبائل المحيطة بسوق الشيوخ تتناوش الحامية من كل ليلة حتى ضيقت الخناق عليها وحوصرت من جميع جوانبها فاستنجدت حامية سوق الشيوخ بحكومة لواء المنتفج (الناصرية) فجاءت ثلاث طائرات القت قنابلها على القبائلا الثائرة فما زادها الا احماسا فلما عادت الطائرات هاجمت القبائل قصبة سوق الشيوخ بشدة واحتلتها بقوة السلاح والتجأ موظفو قضاء سوق الشيوخ الى دار العلامة الشيخ محمد حسين حيدر فحماهم واحسن اليهم حتى انه البس حاكم سوق الشيوخ عبد الرحمن الدوري ملابس النساء واجلسه مع افراد عائلته لان القبائل كانت تطلبه بشدة لاستهانته برجال الدين وكانت حصيلة الخسائر البشرية ٢٦ قتيلا من افراد الحكومة و٤٠ قتيلا من العشائر الثائرة وكان احتلال سوق الشيوخ وسقوطها بيد العشائر يوم ١٤/ايار/١٩٣٥ وذكر المرحوم عبد الرزاق الحسني عن الخسائر فقال لايوجد احصاء رسمي بعدد القتلى والجرحى من الاهالي كما اننا والقول للسيد الحسني لا نعلم شيئا عن عدد القتلى والجرحى من الجيش لكن الخسائر كانت زهاء (٦٠٠) بين الطرفين وسرت روح النصر والثورة الى القبائل المحيطة بالناصرية فقامت في وجه الحكومة وادركت السلطة حراجة الموقف فانسحبت بقواتها الى ثكنة جديدة تبعد عن بلدة الناصرية نحو ٢٠٠ متر واقامت المتاريس وفي ظل هذه الاوضاع ثارت قبيلة ال غزي بقيادة زعيمها الشيخ منشد الحبيب وعشيرة الحسينات ورئيسها عجيل التويلي وعشيرة ال ازيرج وشيخها كاطع البطي فاحرقوا محطة اور ونهبوا مافيها من اموال ثم قاموا بقلع قضبان سكة الحديد وغمروا الطرق الممتدة بين المحطة والناصرية بالمياه وقطعوا طريق (شطرة.ناصرية) وغمروها بالمياه فاضطرت الحكومة ان توعز الى موظفيها بترحيل عوائلهم خارج المنطقة ولما اطلعت رئاسة اركان الجيش على الموقف في لواء الناصرية (المنتفج) كما تسمى انذاك ارسلت فوجين مع فصيل مدفعية الى الناصرية عن طريق (كوت. حي) بالسيارات وصل الفوجان بالوقت المناسب بعد ان سبقه وزير الدفاع جعفر العسكري ورئيس اركان الجيش وكان وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني قد

رشيد عاليالكيلاني

جعفر العسكري

طه الهاشمي

استقل طائرة من بغداد الى الناصرية بعد رجوع وزير الدفاع لايجاد حل سلمي وذلك للاستعانة بمن بقي مواليا للحكومة من بعض رؤساء قبائل الناصرية فاستدعى (الشيخ خيون العبيد) شيخ عشائر العبودة وكلفه ان ينصح الثائرين قبل ان تصلهم قوات الحكومة فاتصل الشيخ خيون بالرؤساء (كاطع البطي شيخ ال ازيرج ومنشد الحبيب شيخ ال غزي وعجيل التويلي شيخ الحسينات) وكان هؤلاء الثلاثة اجمعوا على احتلال الناصرية جميعها فاوضح لهم الشيخ خيون ماحل بقصبة سوق الشيوخ من خراب ودمار فانه لايصح ان يحل بالناصرية مثله وهي موضع عزهم وطلب منهم ان يجتمعوا برؤساء عشائر الغراف خارج المدينة فوافق الشيوخ الثلاثة على طلب الشيخ خيون العبيد وعقد الاجتماع عند الشيخ (خضر المحسن) احد رؤساء عشيرة خفاجة واتفقوا على وجوب المحافظة على دور الحكومة وعدم هدمها مع ضرورة تسوية الخلاف مع الحكومة بالتي هي احسن ثم تجدد الاجتماع ثانية عند (الشيخ موحان الخير الله) شيخ الشويلات لكن لم يصلوا الى نتيجة عندها استدعى وزير الدفاع جعفر العسكري الشيوخ الثلاثة (كاطع البطي ومنشد الحبيب وعجيل التويلي) امتنعوا الذهاب اليه اول الامر ثم اجتمعوا للمرة الثانية مع شيخ الشويلات (موحان الخير الله) والشيخ خيون العبيد بعد ان اعطي لهم (الحظ والبخت) وتحت ظل هذه الاحداث تدخل سماحة العلامة (محمد حسين ال كاشف الغطاء) فارسل برسائله الى الشيوخ الثلاثة والى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي طالبا من الطرفين توطيد الامن والمسارعة الى اجراء المفاوضات كما ارسل ياسين الهاشمي رسالة للشيخ محمد حسين ال كاشف الغطاء يعده باجتناب الاعمال العسكرية وانهاء الامر سلما في الناصرية بقيت قضية سوق الشيوخ على وضعها وهي بيد العشائر بني خيكان. وال حجام. والنواشي وال حسن وبني اسعيد وال جويبر وال شمسي حيث تألف وفد من اعيان ورؤساء العشائر وهم خيون العبيد وموحان الخير الله وصكبان العلي وتوجهوا الى سوق الشيوخ وحلوا ضيوفا عند الشيخ محمد حسن حيدر واثناء تواجدهم قصدهم الشيخ ريسان الكاصد احد رؤساء عشيرة حجام فنصحهم الشيخ محمد حسن حيدر بالقاء السلاح وحقن الدماء وافساح المجال الى الحكومة لتعيد هيبتها وتدخل قصبة سوق الشيوخ ووعدهم باستحصال عفو عام عن المشتركين في الثورة فرد الشيخ فرهود الفندي بان لدى الثائرين ميثاقا يجب ان ينفذ اولا لتعاد السيوف الى اغمادها فشلت المساعي وعاد الوفد الى الناصرية ثم استدعي الشيخ محمد حسن جيدر الى مركز لواء الناصرية وكلف بالوساطة مجددا فعاد الى سوق الشيوخ واجتمع برؤساء الثورة وكاد ان يقنعهم بترك السلاح لو لم تخذله عناصر الفوضى فاخفق للمرة الثانية كما اخفق الشيخ حسن بدر الرميض في وساطته ثم شهدت تلك الاضطرابات وساطة جديدة ففي ١٩٣٥/٥/٢٥ وصل كل من السيد عبد المهدي المنتفكي والحاج خيون العبيد والشيخ موحان الخير الله والشيخ صكبان العلي الى الناصرية واتصلوا بوزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني المتواجد هناك واظهروا له استعدادهم لمساعدة الحكومة فوافق الوزير رشيد عالي على قيام هؤلاء بدور الوساطة كما وافق على اعفاء القائمين بالثورة على شرط ان لايشمل هذا العفو الرؤساء الثلاث (ريسان الكاصد ومزهر الكاصد وفرهود الفندي) الذين حركوا عشائرهم واحتلوا قصبة سوق الشيوخ وعليهم ان يسلموا انفسهم بدون قيد أو شرط وكانت قد تجمعت في مركز الناصرية اربعة افواج للقضاء على هذه الثورة العشائرية فلما تبين ذلك للعشائر الثائرة قاموا بهجوم مباغت ففتحوا ثغرات عديدة في نهر الفرات واغرقوا المنطقة المحيطة بسوق الشيوخ بحيث اصبح الوصول اليهم متعذرا فاقترح وزير الداخلية على قائد القوات المرابطة الفريق بكر صدقي أن يتقدم بالجيش فورا اذ لم يوافق بكر صدقي على هذا الاقتراح كما لم تقره هيئة الاركان ولما لم يقتنع وزير الداخلية رشيد عالي الكيلاني بهذا الرفض طلب بكر صدقي حضور رئيس اركان الجيش (العميد طه الهاشمي) شقيق رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ومعه هيئة الاركان لدراسة الحالة عن كثب فحضروا جميعا من بغداد للناصرية ودرسوا الوضع العسكري فاجمعوا على استحالة القيام بأية حركة عسكرية واقترحوا تأجيل ذلك الى ان يحل الصيف اي بعد ثلاثة اشهر تقريبا اي تبقى الحالة شهر (حزيران. تموز. اب) حتى تتبخر المياه وتجف الطرق لكن وزير الداخلية استنهض همة القائد بكر صدقي ليسوق الجيش نهرا مهما كلف الامر علما ان المسافة بين الناصرية وسوق الشيوخ ٢٢ كيلو مترا اذعن بكر صدقي واظهر جرأة مثالية في المغامرة بينما يتجهز الجيش اتصل وزير الداخلية برؤساء القبائل على ضفتي نهر الفرات ويحثهم على معاونة الجيش في عبوره كما اغرق عليهم الاموال والهبات وهكذا سيق الفوج الرابع بالسفن الشراعية في يوم ١/ حزيران/١٩٣٥ فقط مسافة ١٥ كيلو مترا دون ان يجد اي مقاومة وكانت العشائر على جانب الفرات ترحب به وتابع الجيش سيره في اليوم الثاني فكانت حركته مدعاة للدهشة ولما وصلت طلائعه قرب نهر (الفضلية) وجد ان العشائر تحاول ان تعترض تقدمه وكانت مقاومة بسيطة تابع الجيش سيره فدخل قصبة سوق الشيوخ دون ان يطلق رصاصة واحدة والقت القبائل سلاحها بين ايدي القادة وعندما علم بعض شيوخ القبائل القائمة على ضفتي نهر الفرات اجتمعوا برؤساء الثورة في دار الشيخ محمد حسن حيدر واطلعوا على رغبة الوزير في العفو عن القائمين بالحركة عدا الرؤساء الثلاثة (ريسان الكاصد واخيه مزهر الكاصد وفرهود الفندي) رحبوا بهذا الحل وذهب ٢٥ رئيسا من سوق الشيوخ الى النصارية فعفا عنهم رشيد عالي الكيلاني وزير الداخلية اما الرؤساء الثلاثة فقد فروا الى مضيف الشيخ بدر الرميض رئيس عشيرة بني مالك عندها اعلنت الحكومة بيان انهاء عصيان سوق الشيوخ بعد ان سيطر الجيش سيطرة تامة فارسل وزير الداخلية حملة تأديبية على قبيلة الاخوين ريسان واخيه مزهر ودمرت داريهما تدميرا كاملا ثم جهزة حملة تأديبية على قبيلة الشيخ فرهود فحرقت مضيفه وقطعت اشجار بساتينه متخذة منها مخفرا للشرطة كما ارسل وزير الداخلية كتابا الى متصرف الناصرية ماجد مصطفى يطلب منه ١. اشغال دور رؤساء العشائر المتمردة وتأسيس مخافر مؤقتة فيها ٢. هدم القلاع الموجودة عند العشائر في جميع انحاء الناصرية ٣. فرض غرامات على العشائر المتمردة ٤. تجريد عشيرة الحميدات من السلاح. ٥. تجريد عشيرة حجام وبني خيكان وال شدود ٦. اعطاء التأمينات الى العشائر ال ازيرج والحسينات وعند رجوع رشيد عالي الكيلاني الى بغداد وقيامه في اليوم الثاني بمهام عمله في وزارة الداخلية صباحا اعلمه مدير الاستعلامات بوجود الشيخ بدر الرميض للاستئذان بالسلام عليه استغرب رشيد عالي من وجود الشيخ بدر الرميض المفاجئ في بغداد فأمر بادخاله بالسرعة الممكنة فدخل الشيخ بدر الرميض على رشيد عالي ومعه الرؤساء الثلاثة (ريسان الكاصد ومزهر الكاصد وفرهود الفندي) لطلب العفو عنهم فاكتفى رشيد عالي بعقوبة بسيطة هو ابعادهم لمدينة الرمادي فقضوا شهرا ثم عادوا الى ديارهم هذا ما نقلناه عن ثورة سوق الشيوخ كما رواها مؤرخ العراق المرحوم عبد الرزاق الحسني رحمه الله لكن ماذا قال جرجيس فتح الله بكتابه رجال في الميزان.

يذكر لا استطيع ان امحو من ذاكرتي رؤية منظر سوق الشيوخ وقد بدأت لي وانا ابن الثانية عشرة سنة فقد تم قطع زهاء عشرة الاف نخلة حتى كانت كانها الدجاجة المنفوشة وقد ذكر جرجيس فتح بكتابه فصول عن ثورة سوق الشيوخ اعرضنا عنها بسبب الاطالة فقد سئم العراقيون تكرار الثورات ايام وزارة ياسين الهاشمي حتى قال الشاعر النجفي الشيخ محمد علي اليعقوبي: قالوا وزارتكم ياسين يرأسها وقائد الجيش طه في الميادين يارب طه وياسين بحقهما اجر عبادك من طه وياسين.

صبيحة المدرس

أول مذيعة عراقية

كثيرون يذكرون عذوبة صوتها وابتسامتها المشرقة عندما كانت تطل عليهم بوجهها الضحوك قبل عشرين عاماً من على شاشة التلفاز!

انها اول مذيعة عملت في الاذاعة منذ عام ١٩٤٦ وهي ايضا اول مذيعة تلفزيونية شاهدها الجمهور من على الشاشة الصغيرة عام ١٩٥٦.. ورغم كل هذه السنوات الطويلة استقبلتنا "صبيحة المدرس" بنفس ابتسامتها المشرقة وبحيوية الشباب في منزلها..

وكان هذا اللقاء الذي اعادنا الى الايام الاولى لنشوء التلفاز وما كان يحيط بطبيعة العمل انذاك من صعوبات ومفارقات صارت اليوم ذكريات حلوة يتداولونها في احاديثهم بعد ان تغير كل شيء وكبر مبنى التلفاز وستديوهاته واجهزته الحديثة! تغمض المذيعة الاولى عينيها لتسترجع اولى لحظات دخولها مبنى (الاذاعة اللاسلكية) فتقول:

كان ذلك في عيد النهضة العربية (٩ شعبان) توجهت الاذاعة الى من يرغب بالقدوم لالقاء كلمة او قصيدة بالمناسبة.. فذهبت وانا احمل بيدي ورقة كتبت فيها انشاء المناسبة. فصادف ان سمعها مدير الاذاعة انذاك الذي اعجب بالقائي فاستدعاني الى مكتبه وفاجاني بسؤاله: من كتب لك هذه الكلمات؟ فقلت له: "والله استاذ أني"! بعدها سألني: هل تقبلين ان تكوني مذيعة؟ لم اجب حينها إلا اني خرجت مسرعة للوصول الى البيت لاطرح المسألة على ابي الذي لم يمانع ابداً من الفكرة وامي ايضاً، وهكذا بدأت العمل كمذيعة راديو وانا في الصف الرابع الثانوي!.

× والتلفاز ما قصة دخولك اليه كمذيعة؟.

– لم تكن هناك مذيعة في التلفاز عند افتتاحه لذا طلب الي ان اذيع فيه فلم امانع.. واول ما اذعته كان نقلا لمراسيم افتتاح التلفاز في ٥٦/٥/٢. حيث اشتركت في نقله مع المذيع محمد علي كريم.

× وهل تذكرين اول بارة قرأتها وانت تظهرين على الشاشة لوحدك؟

تتذكر ثم تضحك ونسالها ما الخبر؟.. تجيب:

– ان اول عبارة قرأتها في التلفاز غلطت فيها اذ يحكم وضعي كمذيعة في الاذاعة وتعودي عليها قلت: هنا محطة تلفزيون بغداد للاذاعة العراقية! متناسية اني امام الشاشة الصغيرة لا المذياع!

× وما تعليقات الناس آنذاك وانت تسيرين في الشارع؟.

– اطرف ما اذكره انهم كانوا يسمعوني عبارة هنا بغداد.. هنا بغداد!.

× وهل واصلت عملك كمذيعة في التلفيزون؟.

– لغاية ١٩٥٨ ثم تركت العمل كمذيعة ثم عدت اليه في ١٩٦٣، ولغاية ١٩٦٨ بعدها تفرغت لعملي في المحاماة.

× لنترك الاذاعة قليلا ولنعد اليك كامرأة عملت في المجال الحقوقي ماذا عن الاعمال التي قمت بها؟.

– بعد تخرجي في كلية الحقوق في ١٩٥١ عملت ملاحظة في المكتب الخاص لوزير العدل ثم ملاحظة في المكتب الخاص لوزير العمل بعدها انتقلت الى وظيفة اخرى حتى ١٩٦٣ حيث نسبت للعمل في الاعلام فعملت محررة في نشرة الاذاعة والتلفاز التي تعتبر مجلة الاذاعة والتلفزيون امتداداً لها!. بعدها اصبحت مديرة لسجن النساء وبقيت فيه ٤ سنوات حتى احلت نفسي على التقاعد قبل ٥ سنوات.

× واين حصة الاذاعة اذن من اعمالك هذه؟.

– كنت اعمل في المساء فقط في الاذاعة.

وتتنهد صبيحة المدرس وهي تتذكر نفسها مديرة للسجن وكيف ان هذه الفترة من حياتها العملية اثرت فيها كثيرا اذ كانت صديقة لكل السجينيات وتعلق على ذلك قائلة: انا لا اصلح ان اكون مديرة سجن لاني عاطفية ولا استطيع رؤية النسوة وهن وراء قضبان السجن! المسألة صعبة جداً بالنسبة لي لذا احلت نفسي على التقاعد.

× ماذا عن الشعر الذي تكتبين الم تفكري بطبعه في ديوان مثلا؟

– الشعر جزء من حياتي ولا استطيع الاستغناء عنه فانا نظمت اول قصيدة لي في سنة ١٩٤٧ ولا زلت طالبة ثانوية ولغاية اليوم اكتب وقد حاولت فعلا جمع قصائدي في ديوان ساقدمه الى وزارة الاعلام اخترت له عنوانا اوليا "العالم الثاني".

× وما تحديدك لمواصفات المذيعة الناجحة؟.

– ان تكون غير خجولة ولغتها قوية.. القاؤها جيدا.. الجمل التي تنطقها يجب ان تكون موسيقية غير جافة.. لا تنظر الى الورقة باستمرار.. مبتسمة دائماً.. وانيقة وبسيطة..

هناك حادثة لا زال الناس يذكرونها عن صبيحة المدرس فبينما هي تقرأ فقرات المنهاج ذات يوم غلطت واذا بها تصيح "بيه يمه صخام"! ولكنها مع ذلك استمرت بالقراءة بعد ان ضج الاستديو بضحك العاملين وعندما طلبها المدير العام للاستفسار عن سبب غلطتها قالت له: استاذ كان العقل في اجازة وقتية! فاذا بالمدير يضحك وينسى العقاب!

مجلة الاذاعة والتلفزيون 1975

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون